غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد المئة والخمسة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

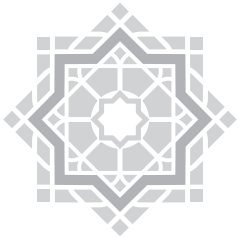

المِحْوَرُ الثَّالِث عَشَر
رَسَائِلُ تَرْشِيدِ الصَّحْوَةِ

٢٠٣ مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلاميَّة

٢٠٤ وقفات مع الشِّيعة الاثني عشريَّة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور الحادي عشر

رسائل ترشيد الصحوة

٢٠٣

مبادئ في الحوار والتقريب

بين المذاهب والفرق الإسلاميَّة

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجريبية

من الدستور الإلهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**». رواه البخاري.

عن جرير وابن عمر رضي الله عنهم، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض**». متفق عليه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يَحْقِرُه، بحسْبِ امرئٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم**». رواه مسلم.

عن أنسٍ رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تباغضوا، ولا تظالموا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيَّام**». متفق عليه.

عن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**». رواه أبو داود وابن ماجه.

عن الزُّبَيْر بن العوَّام رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد، والبغضاء، وهي: الحالقة، لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**». رواه أحمد والترمذي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالَمين، وحُجَّة على الناس أجمعين، سيدنا وإمانا وأسوتنا وحبيبنا وقائد دربنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الَّذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الَّذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون، ورضي الله عمن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

فقد تنادى الكثيرون في المشرق والمغرب ـ ولا سيَّما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ـ إلى الحوار بين الأديان، وخصوصا الدينين الكتابيَّيْن الكبيرين: المسيحيَّة والإسلام.

وتجاوب الكثيرون مع هذه الدعوة، والتقى المسلمون والنصارى في عدَّة لقاءات ومؤتمرات في أكثر من بلد، وشاركت شخصيًّا في حضور مؤتمرين كبيرين:

أحدهما: في روما بدعوة من جمعية سانت جديو الشهيرة، وهو المؤتمر الَّذي سمَّوْه «القمة الإسلاميَّة المسيحيَّة»؛ نظرًا لأهميَّة الَّذين شاركوا فيه من الجانبَيْن.

QaradawiBooks.com

والثاني: كان في القاهرة بدعوة من المجلس الأعلى العالمي للدعوة والإغاثة ومنتدى الحوار الإسلامي، وكان التركيز فيه على نصارى الشرق أكثر من غيرهم.

كما شاركت في مؤتمرات ولقاءات أخرى، وإن لم تكن على هذا المستوى.

وهنا تعالت أصوات كثيرة داخل العالم الإسلامي تنادي: لماذا لا يتحاور المسلمون بعضهم مع بعض؟ أليس هذا من الأولويات؟ أليس الحديث يقول: «**ابدأْ بنفسك**»[١]. والحديث الآخر يقول: «**ابدأْ بمن تعول**»[٢]؟!

تُرى: هل ما بيننا نحن المسلمين بعضنا وبعض من الخلاف: أوسع وأكبر ممَّا بيننا وبين أهل الأديان الأخرى؟ ولماذا إذن لا نتحاور بغية التفاهم والتقارب؟

ولا شكَّ أن منطق الدين والعلم والواقع يؤكد: أنَّ حوار المسلمين بعضهم مع بعض أحقُّ وأولى بالاهتمام من الحكماء والعقلاء من أبناء الأُمَّة، وإذا كنا مأمورين بالحوار مع مخالفينا من أهل الديانات الأخرى بقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، أفلا نحاور من تجمعنا به العقيدة الواحدة، والقبلة الواحدة، وكلمة: «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»؟

لهذا أعتقد أن اهتمامنا بالحوار الإسلامي المسيحي لا يجوز أن يزيد أو يجور على اهتمامنا بالحوار الإسلامي الإسلامي، ولا سيَّما بين الفئتين الكبيرتين: السُّنَّة والشِّيعة، بغية التقريب بينهما بالحق لا بالباطل.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٧)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤)، كلاهما في الزكاة، عن حكيم بن حزام.

غير مرخصة للطباعة
نسخة علمية
QaradawiBooks.com

إن اللقاء والحوار وتبادل الأفكار يساعدنا على أن يفهم بعضنا بعضًا، ويقترب بعضنا من بعض، ويُزيل الجفوة، ويُنشـــئ المودة، ويجلو كثيرًا من الغوامض، ويُزيح الكثير من الشـــبهات، وذلك إذا خلصت النيَّات، وصحت الأهداف، وقويت العزائم، وغُلِّب العقل على الهوى، والحكمة على التهور، والوسط على الشطط.

على أن هنا عاملًا مهمًّا يدعو الأُمَّة كلها بجميع مذاهبها ومدارســها وطوائفها: أن تتقارب وتتلاحم وتتضامن فيما بينها، وهو الخطر الداهم الَّذي يهدد الأُمَّة جمعاء، إن لم تقف له بالمرصاد، إنه خطر تجمعت فيه الصهيونية والصليبية والوثنية، رغم ما بين بعضها وبعض من خلافات، ولكن جمعهم العدو المشـــترك وهو الإســـلام، وصدق قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

وإذا جاز للأُمَّة ـ وما هو بجائز ـ أن تفترق في أيام الرخاء والعافية، فلا يجـــوز لها أن تتفرق فـــي أيام الشـــدَّة والبلاء، فإن الشـــدائد تجمع المتفرقين، والمحن توحـــد المختلفين، والأخطار تقـــرب المتباعدين، ورحم الله أحمد شوقي حين قال: إن المصائب يجمعن المصابين!

لهذا رحبت بدعوة نائب رئيس الوزراء ووزير الشـــؤون الإســـلاميَّة الصديق الكريم الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة، للمشاركة في «مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة» الَّذي يعقد في مملكة البحرين تحت رعاية ملكية سامية، وكتبت هذه الورقة: «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة»، راجيًا بها أن أُضيء شمعة في طريق التقريب بين الجماعات والطوائف والمدارس الإســـلاميَّة، في هـــذا الوقت العصيب الَّذي تتعرض فيه الأُمَّة لكل أنواع الغزو: الديني، والثقافي، والاقتصادي،

QaradawiBooks.com

والسياسي، والعسكري، ويريد خصومها أن يُغيِّروا هويتها، ويمسخوا شخصيتها، ويجعلوها ذيلًا لهم، وقد جعلها الله رأسًا! وهي أحوج ما تكون إلى وحدة الهدف، ووحدة الصف، وأن تعتصم بحبل جميعًا ولا تفرق. وواجب علماء الأُمَّة ودعاتها ومفكريها ـ وهم عينها الَّتي بها تُبصِر، وعقلها الَّذي به تُفكِّر، ولسانها الَّذي به تُعبِّر ـ أن ينبهوها إلى ذلك، حتَّى لا تُغلَب على أمرها، وتسقط في يد أعدائها، ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم.

يوسف القرضاوي

القاهرة جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ

يوليو ٢٠٠٤م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تمهيد

ما المراد بالتقريب بين المذاهب؟

ليس المراد بالتقريب بين المذاهب: أن يتنازل السُّنِّي عن سُنِّيَّته، ويندمج في مذهب الشيعي، ولا أن يتنازل الشيعي عن شيعيته، ويذوب في مذهب السُّنِّي، فهذا ليس مقصودًا لأيِّ واحد من الطرفين، وإن كان كلٌّ منهما يتمنَّى ذلك، ولكن الحياة لا تسير عجلتها بالتمني.

وذلك لأنَّ المذاهب الَّتي استقرَّت منذ قرون وتوارثها الأبناء عن الآباء، والأحفاد عن الأجداد، ونشأ عليها الصغير، وهَرِم عليها الكبير، ليس من السهل أن يتخلَّى عنها أصحابها بمقالةٍ تُقرأ، أو بخطبةٍ تُلْقى، أو ببحثٍ يُكتب، أو بندوةٍ تُعْقد.

إنَّما المطلوبُ من الحوار والتقريب هنا: تصفية الأجواء ممَّا يُكَدِّرها من أسباب التوتر، وسوء الظنِّ، وفقدان الثقة بين الفريقين، ممَّا يمكن أن يُؤَدِّي ـ إذا تفاقم واستمرَّ ـ إلى فساد ذات البَيْن، وفساد ذات البَيْن كما قال رسول الله ﷺ: «**هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[1].

(١) جزء من حديث ونصه: «دب إليكم داء الأمم: الحسد، والبغضاء وهي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكنها تحلق الدين. والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم». رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، =

ولا أحسب مسلمًا ـ سُنِّيًا كان أو شـيعيًا ـ يحب أن يحلق دينه، كما تحلق الموسى الشعر، بل كل منهما يحب أن يبقى دينه محفوظًا موفورًا.

ولكي نعمل على تصفية الأجواء ينبغي علينا: أن ندع الأشـياء الَّتي توغر الصـدور، والَّتي توقظ الفتن، والَّتي تثير النـزاع، وأن نبحث عمَّا يُقَرِّب لا عمَّا يباعد، فلقاءات «التقريب» ليست لقاءات «مناظرة»، يحاول كلُّ طَرَفٍ أن يُقوِّي حُجَّته، وأن يدحـض حُجَّة الطرف الآخر، ليكون له الظفر، وتتمَّ له الغلبة على خصمه.

ليس هذا مرادًا هنا بالتأكيد، فهذا من شأنه أن يثير لا أن يهدئ، وأن يباعد لا أن يقرب.

ولقاءات التقريب لا تمنع من لقاءات أخرى تعقد في صورة حلقات ضيقة، يجتمع فيها أهل العلم من دعاة الاعتـدال من الطرفين، بعضهم إلى بعض، ويحددون بعض القضايا للنظر فيها في ضوء الأدلة، وفي ظل الأخوة، وبروح العلماء الَّذين تتسع صدورهم للرأي الآخر، ولا يتعصبون تعصبًا أعمى لرأي، وإن كان شائعًا ومتوارثًا.

ويحسـن بهم أن يبدؤوا بالمسـائل الأقـرب إلى القبـول، والأقل حساسية في أمور الخلاف.

والمهم هنـا هو تأكيد مفهـوم التقريب، والحوار الَّـذي يتم بقصد تحقيقه، فلا بد أن نراعي مبادئه من حيث الغاية، ومن حيث المضمون، ومن حيث الأسلوب.

* * *

= وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقـال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مبادئ عشرة في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة

أضع أمام الباحث المسلم والقارئ المُنْصف، الَّذي يحبُّ الخير لأُمَّة الإسلام، ويحرص على أن يدرأ الشرَّ عنها، ويسعى لجمع كلمتها، وتوحيد صفوفها، وجهودها، لمقاومة كيد أعدائها، الَّذين لا يريدون إلَّا تدميرها... أضع أمام هؤلاء هذه المبادئ أو القواعد العشرة في التقريب بين أبناء الأُمَّة الواحدة، لا أريد بذلك إلا وجه الله تعالى، ونصرة دينه، و«**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[1].

وأحبُّ من كلِّ مسلم مخلصٍ لدينه، حريصٍ على إرضاء ربِّه، غيور على مصلحة أُمَّته: أن يقرأ هذه الصحائف وهو مُتَجَرِّد من الهوى والعصبيَّة، وهناك سيجد فيها الخير لكل أبناء الإسلام، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، فالإسلام فوق المذاهب، والأُمَّة فوق الطائفة.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

نسخة مجانية

١

حُسن الفهم

غير مرخصة للطباعة

أوَّل ما ينبغي أن تقوم عليه محاور الحوار الإسلامي الإسلامي هو: حُسْن الفهم، فممَّا لا ريب فيه أنَّ حسن الفهم مطلوب في كلِّ شيء، قبل البدء في أيِّ عمل حتَّى يكون السير فيه على بصيرة؛ لأنَّ صحَّة التصوُّر ضروريَّة في صحَّة العمل والتصرُّف، ولهذا كان العلم في الإسلام مقدمًا على العمل، كما ترجم لذلك الإمام البخاري في «صحيحه»، واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فأمر بالعلم قبل أن يأمر بالاستغفار.

ومن هنا كان أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وثاني ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٤]، فكانت القراءة وهي مفتاح العلم والفهم مقدمة على المطالبة بالأعمال.

ونعني بـ «حُسن الفهم» حُسن التعرف على حقيقة موقف الطرف الآخر، وذلك بأخذ هذا الموقف من مصادره الموثَّقة، أو من العلماء الثقات المعروفين، لا من أفواه العامَّة، ولا من الشائعات، ولا من واقع الناس، فكثيرًا ما يكون الواقع غير موافق للشرع.

ومن المهم أن نفرق بين الأصول والفروع، وبين الفرائض والنوافل، وبين المتفق عليه والمختلف فيه، وبين الشائعات والحقائق، وبين ما يلزم به الفقه، وما يعمله الناس من عند أنفسهم.

QaradawiBooks.com

خذ مثلًا قضيَّة «تحريف القرآن»، فهناك من علماء الشِّيعة من قالوا: إنَّ القرآن الكريم مُحَرَّف، بمعنى أنَّه ناقص، وليس كاملًا، وألَّفوا في ذلك كتبًا، واستدلُّوا على ذلك ببعض الروايات الَّتي تسند رأيهم من «الكافي»، ومن غيره من كتبهم المعتبرة عندهم.

ولكن هذا الرأي ليس مُتَّفَقًا عليه، فهناك من علمائهم من ردَّ عليه، وفنَّد شبهاته، وهذا هو الَّذي يجب أن نعتمده ولا نعتمد الرأي الآخر.

والَّذي يجعلنا نعتمد رأي نفاة التحريف في القرآن جملة أمور:

١ ـ أنَّهم جميعًا مُتَّفقون على أنَّ ما بين دفَّتي المصحف كلِّه كلام الله، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ ـ أنَّ المصحف الَّذي عند الشِّيعة في كلِّ العالم اليوم هو المصحف الَّذي يوجد عند أهل السُّنَّة، فالمصحف المطبوع في إيران هو نفسه المطبوع في السعودية وفي مصر وفي باكستان والمغرب، وغيرها من بلاد العالم الإسلامي.

٣ ـ أنَّ هذا القرآن ـ الَّذي يَدَّعي البعض تحريفه ـ هو الَّذي يُفَسِّره مُفَسِّرو الشِّيعة من قديم إلى اليوم، لا يوجد قرآن غيره يقومون بتفسيره، وهو الَّذي يتحدَّثون عن بلاغته وإعجازه إلى اليوم.

٤ ـ أنَّ هذا القرآن هو الَّذي يستدلُّون به على معتقداتهم في كتبهم العقائديَّة، وهو الَّذي يحتجُّون به على الأحكام في كتبهم الفقهيَّة.

٥ ـ أنَّ هذا القرآن هو الَّذي يُعلِّمونه لأولادهم في المدارس الدينيَّة والحكوميَّة، وعلى شاشات التلفاز وغيرها.

QaradawiBooks.com

فهذا ما جعلنا نؤكد وجوب التفرقة بين المُتَّفق عليه والمُخْتَلف فيه، والمُتَّفق عليه هو الَّذي يلزمنا.

وخذْ مثلًا قضيَّة حرص الشِّيعة في صلاتهم على السجود على حصاة، فالشائع عندنا ـ أهل السُّنَّة ـ أنَّ الدافع إلى ذلك هو تقديس الشِّيعة لهذه الحصاة؛ لأنَّها من طينة كربلاء الَّتي قتل الحُسَيْن أو دفن فيها رضي الله عنه.

وقد كنتُ أنا شخصيًّا أعتقد ذلك في أوَّل الأمر حتَّى زارنا في الدوحة في الستينيَّات من القرن العشرين الإمام موسى الصدر الزعيم الشيعي المعروف في لبنان، ورئيس المجلس الشيعي الأعلى بها، وقد تباحثنا في بعض الأمور، ومنها هذه الحصاة، فعلمت منه: أنَّ الشِّيعة الجعفريَّة يشترطون أن يكون السجود على جنس الأرض، فلا يجيزون السجود على السجاد أو الموكيت، أو الثياب أو نحوها، ونظرًا لأنَّ أكثر المساجد أصبحت مفروشة بما لا يجوز السجود عليه في مذهبهم، فقد حاولوا أن يُوَفِّروا لكلِّ مُصَلٍّ حصاة من جنس الأرض يُصَلِّي عليها، وليس من الضروري أن تكون من طينة كربلاء، ولا من غيرها.

وقد عرفتُ ذلك بالقراءة والدراسة في كتب الجعفريَّة، وعندي عدد منها، من: «المختصر النافع» إلى «جواهر الكلام».

وعندما زرت إيران سنة ١٩٩٨م تأكَّدت من ذلك، فقد زارني كثير من العلماء في حُجرتي في الفندق الَّذي أنزل فيه، وصلَّوْا عندي، ولم يكن معهم هذا الحجر، بل وجدتهم أخذوا ورقة كلينكس، ووضعوها أمامهم؛ ليسجدوا عليها، بدلا من الحجر أو الحصاة، واعتبروا الكلينكس من جنس الأرض؛ لأنَّه ليس من المنسوجات كالسجاجيد ونحوها.

QaradawiBooks.com

المهمُّ أنَّ فكرة «الطينة المُقَدَّسة» الَّتي كانت ثابتة عندي قد زالت بسؤال العلماء الثقات، والأخذ عنهم، والاطِّلاع على المراجع العِلميَّة المُوَثَّقة، بدل الأخذ بما يشاع عند عوامِّ الناس دون استناد إلى بينة أو دليل.

وقد قال آية الله الشيخ جعفر السُّبْحاني في كتابه «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف»: «إنَّ المستحسن عند الشِّيعة هو: اتِّخاذ تربة طاهرة طيِّبة؛ ليتيقَّن من طهارتها من أيِّ أرضٍ أخذت، ومن أيِّ صقع من أرجاء العالم كانت، وهي كلُّها في ذلك سواء»[1].

وهذا المبدأ «حُسن الفهم» كما أطالب به أهل السُّنَّة في موقفهم من الشِّيعة: أطالب به من غير شكٍّ: الشِّيعة في موقفهم من السُّنَّة، وضرورة تفرقتهم بين الأصول والفروع، وبين الفرائض الأساسيَّة والنوافل الهامشيَّة، وبين المُتَّفَق عليه بين أهل السُّنَّة والمُخْتَلَف فيه بينهم، وما أكثره! وبين الشائع عند العوامِّ والحقيقة عند أهل العلم الثقات، وبين عمل الناس وما يوجبه الشَّرْع.

* * *

(١) الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف لآية الله جعفر السبحاني (٢٦٤/١)، نشر مؤسسة الإمام الصادق، مدينة قم، إيران.

QaradawiBooks.com

٢

حُسْن الظنِّ

غير مرخصة للطباعة

والمحور الثاني المطلوب في الحوار الإسلامي الإسلامي أو التقريب بين المذاهب: هو حُسن الظنِّ بين الطرفَيْن، وأساس ذلك: أنَّ الإسلام يُقيم العلاقة بين أبنائه على حُسن الظنِّ، بمعنى أن يحمل حال غيره على أحسن المحامل، وإن كان يحتمل معنى آخر، وتصورا آخر.

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وهذا الظن الآثم هو ظن السوء بالآخرين.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية[١]: «يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظنِّ، وهو التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير مَحَلِّه؛ لأنَّ بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فيجتنب كثير منه احتياطًا، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «ولا تظنَّنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المؤمن إلَّا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملًا»[٢].

(١) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٧)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) ذكره المحاملي في الأمالي (٤٦٠)، نشر المكتبة الإسلامية، عمان، ودار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٢هـ.

نسخة مجانية

وذكر ابن كثير هنا ما أخرجه ابن ماجه في «سننه»، من حديث عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أَطْيَبَكِ وأطيبَ رِيحَكِ! وما أعظمَكِ وأعظمَ حُرْمتَكِ! والَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيده، لحُرْمة المؤمن أعظمُ عند الله تعالى حرمةً منك: ماله، ودمه، وأن نظنَّ به إلَّا خيرًا**»(١).

وذكر حديث الشيخَيْن، عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تناجشوا، ولا تَحاسدوا، ولا تَباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»(٢).

والواجب ظنُّ الخير بالمسلمين ما لم يثبت لنا عكسه بيقين، قال تعالى في حديث الإفك: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، وقال سبحانه يذم المنافقين: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

إنَّ سوء الظنِّ يجعل الناس عند صاحبه متهمين، ينظر إليهم بمنظار قاتم أسود، يخفي مزاياهم وحسناتهم، وينظر إلى عيوبهم وسيِّئاتهم من خلال ميكروسكوب، يكبرها ويضخمها، فيجعل الحبَّة قُبَّة كما يقولون.

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٣٢)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٦٤/٤): في إسناده مقال. وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ١٤٩٦: فيه نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان.
ورواه موقوفا الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٦٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قويّ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣).

QaradawiBooks.com

ولقد كنت ذكرت في كتابي «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرُّف» من علامات التطرُّف ومظاهر الغلوِّ «سوء الظنِّ بالنَّاس» وقلت هناك: «تجد الغلاة دائمًا يسارعون إلى سوء الظنِّ والاتِّهام لأدنى سبب، فلا يلتمسون المعاذير للآخرين، بل يُفَتِّشون عن العيوب، ويتقممون الأخطاء ليضربوا بها الطبل، ويجعلوا من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفرا!!».

وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل وجهين: وجه خير وهداية، ووجه شر وغواية، رجحوا احتمال الشر على احتمال الخير، خلافًا لما أثر عن علماء الأمة من أن الأصل: حمل حال المسلم على الصلاح، والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان.

وقد كان بعض السلف يقول: «إنِّي لألتمس لأخي المعاذير من عذر إلى سبعين، ثمَّ أقول: لعلَّ له عذر آخر لا أعرفه!».

من خالف هؤلاء في رأي أو سلوك ـ تبعًا لوجهة نظر عنده ـ اتهم في دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار السُّنَّة، أو ما شاء لهم سوء الظن.

ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء على العامَّة، بل يتعدَّى إلى الخاصَّة، وخاصَّة الخاصَّة، فلا يكاد ينجو فقيه أو داعية أو مفكر إلا مسَّه شُواظ من اتِّهام هؤلاء.

فإذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق الله، ورفع الحرج عنهم، فهو في نظرهم متهاون بالدين.

وإذا عرض داعية الإسلام عرضا يلائم ذوق العصر، متكلما بلسان أهل زمانه ليبين لهم، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارة الغرب... وهكذا.

QaradawiBooks.com

ولم يقف الاتهام عند الأحياء، بل انتقل إلى الأموات الَّذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فلم يدعوا شخصية من الشخصيات المرموقة إلا صوَّبوا إليها سهام الاتِّهام، فهذا ماسوني، وذلك جَهْمِيّ، وآخر معتزلي.

حتَّى أئمَّة المذاهب المتبوعة ـ على ما لهم من فضل ومكانة لدى الأُمَّة في جميع عصورها ـ لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنِّهم.

بل إنَّ تاريخ الأُمَّة كلَّه ـ بما فيه من علم وثقافة وحضارة ـ قد أصابه من هؤلاء ما أصاب الحاضر وأكثر، فهو عند جماعة تاريخ فتن وصراع على السلطة، وعند آخرين تاريخ جاهليَّة وكفر، حتَّى زعم بعضهم أن الأُمَّة كلها قد كفرت بعد القرن الرابع الهجري[1]!

وقديمًا قال أحد أسلاف هؤلاء لسيد البشر محمد ﷺ بعد قسمة قسمها: «إنَّ هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله! اعدلْ يا محمد، فإنَّكَ لم تعدل!»[2]، ومنهم من قال له: اتَّق الله يا محمد[3]!

إن ولع هؤلاء بالهدم لا بالبناء ولع قديم، وغرامهم بانتقاد غيرهم وتزكية أنفسهم شنشنة معروفة، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

(١) قال ذلك: شكري مصطفى مؤسس جماعة التكفير والهجرة، فيما نقله عنه عبد الرحمن أبو الخير في كتابه: ذكرياتي مع جماعة المسلمين، وقد كان واحدًا منهم.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٣)، وابن ماجه في المقدمة (١٧٢)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

إن آفة هؤلاء هي: سوء الظن المتغلغل في أعماق نفوسهم، ولو رجعوا إلى القرآن والسنة لوجدوا فيهما ما يغرس في نفس المسلم حسن الظن بعباد الله، فإذا وجد عيبًا ستره ليستره الله في الدنيا والآخرة، وإذا وجد حسنة أظهرها وأذاعها، ولا تنسيه سيئة رآها في مسلم حسناته الأخرى، ما يعلم منها وما لا يعلم.

أجل، إن التعاليم الإسلاميَّة تحذر أشد التحذير من خصلتين:

سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال الرسول الكريم: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»(١).

وأصل هذا كله: الغرور بالنفس، والازدراء للغير، ومن هنا كانت أول معصية لله في العالم: معصية إبليس، وأساسها: الغرور والكبر، حين قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

وحسبنا في التحذير من هذا الاتجاه أحاديث ثلاثة:

أولها: قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»(٢).

والثاني: قوله ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»(٣).

والثالث: قوله ﷺ: «**إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩٩)، عن عبد الله بن مسعود.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، عن أبي هريرة. =

QaradawiBooks.com

جاءت الرواية بفتح الكاف: «**فهو أهلكَهم**»، على أنه فعل ماض، أي: كان سببا في هلاكهم باستعلائه عليهم وسوء ظنه بهم، وتيئيسهم من روح الله تعالى.

وجاءت بضم الكاف أيضا: «**فهو أهلكُهم**»، أي: أشدهم وأسرعهم هلاكًا، بغروره وإعجابه بنفسه، واتهامه لهم.

والإعجاب بالنفس أحد المهلكات الأخلاقية الَّتي سماها علماؤنا: «معاصي القلوب»، الَّتي حذر منها الحديث النبوي بقوله: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[(١)].

هذا مع أن المسلم لا يغتر بعمله أبدًا، ويخشى أن يكون فيه من الدخل والخلل ما يحول دون قبوله، وهو لا يدري، والقرآن يصف المؤمنين السابقين بالخيرات، فيقول في أوصافهم: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وقد ورد في الحديث: أن هذه الآية فيمن عمل الصالحات ويخاف ألَّا يقبل الله منه[(٢)].

= واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الازدراء للناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، فأما من قاله تحزنًا لما يرى في نفسه وفي الناس من نقص في أمر الدين، فلا بأس به.

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

(٢) وهو حديث عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا تقبل منهم، ﴿**أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦١]». رواه أحمد (٢٥٢٦٣)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في التفسير (٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد =

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن حِكَمِ ابـــن عطاء: ربما فتح الله لك بـــاب الطاعة، وما فتح لك باب القبـــول، وربما قدر عليـــك المعصية، فكانت ســـببا في الوصول، معصية أورثت ذلا وانكسارا، خير من طاعة أورثت عُجْبًا واستكبارا[١]!

وأصل هذا من حكمة للإمام علي رضي الله عنه قال: «سيِّئة تسوؤك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعجبك»[٢].

وقال ابن مســـعود: «الهلاك في اثنتين: العُجْب، والقنوط، وذلك أنَّ السعادة لا تُدرك إلَّا بالســـعي والطلب، والمعجب بنفسه لا يسعى؛ لأنَّه قد وصل، والقانط لا يسعى؛ لأنَّه لا فائدة للسعي في نظره»[٣] انتهى.

لهذا أرى أن أول ما ينبغي أن نطرحه مـــن طريقنا لكي نقرب الأُمَّة بعضها من بعض هو: ســـوء الظنِّ، وأن نُغلِّب فضيلة حُســـن الظنِّ فيما بيننا، كما هو شأن أهل الإيمان.

حكيتُ لأحد المُتَشَـــدِّدين مواقف لبعض الشِّيعة، رأيت فيها الصدق والاستقامة والاعتدال والإخلاص، فما كان من هذا الأخ إلا أنه قال: هذا فعله تقيَّة! فالتقيَّة جزء من تكوين الشِّيعة الديني.

وذكرت لمتشـــدد آخر: أن العلمـــاء في إيران عندمـــا زرتها قدموني لأصلي بهم إمامًا، وأنا في دارهم، فقال: هذا من باب التقيَّة! قلت: وما

= (٤١٩٨)، والحاكم في التفســـير (٣٩٣/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٧).

(١) حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق صـ٢٢٤، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

(٢) انظر: التذكرة الحمدونية (٧١/١)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٣) انظر: الصحوة الإســـلامية بين الجحود والتطرف صـ٤٣ ـ ٤٥، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

الداعي إلى التقيَّة ولست ممَّن يرجى ويخشى ولم أطلب هذا ولم أتوقعه؟! والتقيَّة إنما يقوم بها الضعيف، وبعد نجاح الثورة الإسلاميَّة وإقامة الجمهوريَّة الإسلاميَّة في إيران أصبح القوم أقوياء.

إنَّ حمل كلِّ عملٍ طيِّب أو تصرُّف صالح من الشِّيعة على أنَّه من باب «التقيَّة» هو ضرب من سوء الظنِّ، لا مبرر له ولا داعي إليه.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

التركيز على نقاط الاتفاق

ومن المبادئ المهمة في هذا الحوار: أن نركز على مواضع الاتفاق، لا على نقاط التمايز والاختلاف.

وبخاصَّة أن معظم نقاط الاتفاق في الأمور الأساسيَّة الَّتي لا يقوم الدِّين إلَّا بها، بخلاف نقاط التمايز، فجُلُّها في الفرعيَّات.

من هذه النقاط:

أ ـ الاتفاق على الإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان برسالة محمد ﷺ، وأنه خاتم النبيين، وأنه جاء ليتمم رسالات السماء جميعًا، والإيمان بكل ما جاء به محمد ﷺ من الإيمان بجميع كُتُب الله، وجميع رُسُل الله، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهذه قواعد الإيمان الأساسيَّة نتفق جميعًا على الإيمان بها، وهي أسس الدين وركائزه.

ب ـ الاتفاق على الإيمان بالقرآن الكريم، وأنه كتاب الله المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وأنه محفوظ من التحريف والتبديل بضمانة الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

QaradawiBooks.com

وأنَّه لا يخالف مسلم ـ سُنِّي أو شِيعي ـ في أنَّ ما بين الدَّفَّتَيْن كلام الله.

وبهذا المصحف وآياته وكلماته يستدلُّ المناظرون في العقائد، ويحتجُّ بها المستنبطون للأحكام، ويرجع إليها أهل الدعوة والتربية والتوجيه، فينهلون من معينها العذب، ويقتبسون من سناها المضيء.

أمَّا هل هناك زيادة على هذا القرآن ـ وهو ما زعمه قوم ـ فهذا لا نثيره؛ لأنَّه استطراد لا نحتاج إليه، فهذا القدر الَّذي اتفقنا عليه هو الَّذي يلزمنا، وهو المفروض علينا اتباعه والعمل به، وعدم الإخلال بأي جزء منه: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۞ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

فهنا نجد النَّصَّ القرآني يحذر الرسول من اتباع أهواء أهل الكتاب وأمثالهم، وأن يفتنوه عن «بعض ما أنزل الله إليه»، إشارة إلى أنَّ كل ما أنزل الله واجب الاتباع.

جـ ـ ومن نقاط الاتفاق: الالتزام بأركان الإسلام العمليَّة: من الشهادتَيْن، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

فالفريقان ـ سُنَّة وشِيعة ـ يؤمنون بهذه الأركان أو الفرائض، وإن وجد خلاف بينهما في بعض الأحكام، فهو كما يحدث بين مذاهب السنة بعضها وبعض، فكم من فرق بين المذهب الحنبلي مثلًا والمذهب الحنفي أو المالكي، وكم من مسائل انفرد بها المذهب الحنبلي عن

QaradawiBooks.com

المذاهب الأربعة عرفت باسم «مفردات المذهب»، ونظمها بعضهم في منظومة معروفة.

ومن يقرأ كتابًا يهتم بفقه الاختلاف، مثل: «نَيْل الأوطار» للإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: يجد أنه يذكر علماء الأمصار وأئمَّة الفقه من أهل السُّنَّة ومن الشِّيعة، أو كما يسميهم هو وغيره: فقهاء «العترة» أو «آل البيت»، مثل: الباقر والصادق، والناصر، والهادي، وغيرهم، فلا يكاد القارئ أو الدارس يُحِسُّ بفرقٍ معتبر بين هذه المذاهب ومذاهب السُّنَّة، إلَّا كما يحسُّ الفرق بين مذاهب السُّنَّة بعضها وبعض.

وإذا كان هذا واضحا بَيِّنًا في العبادات، فهو أبين وأوضح في المعاملات.

وإذا كانوا هم لا يعترفون بكتب أهل السُّنَّة الَّتي تعد مراجعهم في الحديث النبوي، مثل: الكتب التسعة: الموطأ، ومسند أحمد، وصحيحي: البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وغيرها من الكتب، فإنَّ معظم ما ثبت عندنا بالسنَّة ثبت عندهم من طريق رواتهم، إمَّا عن رسول الله ﷺ نفسه، وإمَّا عن طريق إمامٍ من أئمَّتهم الَّذين يعتبرونهم معصومين.

والمهمُّ: أنَّ الفقهين في النهاية ـ فقه السُّنَّة وفقه الشِّيعة ـ يتقاربان إلى حدٍّ كبير؛ لأنَّ المصدر الأصلي واحد، وهو الوحي الإلهي المتمثل في القرآن والسُّنَّة، والأهداف الأساسيَّة والمقاصد الكُلِّيَّة للدين واحدة عند الفريقين، وهي: إقامة عدل الله ورحمته بين عباده.

وكثير من الآراء الَّتي تعتبر شاذة عندنا من أحكامهم، نجد بين أهل السُّنَّة من قال بها: إذا أجدنا البحث والتنقيب.

QaradawiBooks.com

خذ أشهر مسألة في الفقه حدث فيها الاختلاف بين المذهبين، وهو: زواج المتعة، فقد قال بها حبر الأُمَّة ابن عباس، وإن قيل: إنه رجع عنها، ولكن ظل عدد من أصحابه في مكة وفي اليمن يفتون بها، مثل: عطاء، وسعيد بن جبير، وطاوس رضي الله عنهم جميعًا.

* * *

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

٤

التحاور في المختلف فيه

كان العلامة الشيخ محمد رشيد رضا صاحب «مجلة المنار» و«تفسير المنار» قد وضع قاعدة للتعامل بين المختلفين من «أهل القبلة» سماها «القاعدة الذهبية»، وهي القاعدة الَّتي تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه».

وقد تبنى هذه القاعدة كل المصلحين من أهل الحكمة والاعتدال، وعلى رأسهم الإمام حسن البنَّا، الَّذي ردد هذه الكلمة في بعض رسائله ومحاضراته، حتَّى حسبها بعض أتباعه من كلمات البنا نفسه.

وقد شكَّك بعض إخواننا من السلفيِّين في الشقِّ الثاني من هذه القاعدة، وقال: كيف نعذر المختلفين إذا خالفوا النصَّ؟!

وقد رددت على هؤلاء فيما كتبته في الجزء الثاني من كتابي «فتاوى معاصرة»[1]، وبيَّنت أن النصوص منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة، وهذا لا عذر لأحد في مخالفته، ولكن هذا النوع من النصوص قليل جدًّا.

ومعظم النصوص إما قطعية الثبوت ظنية الدلالة، أو ظنية الثبوت قطعية الدلالة، أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة، وفي هذه «الظنية» مجال الاجتهاد والاختلاف، وهنا يكون عذر المخالف.

(١) فتاوى معاصرة (١٤١/٢ ـ ١٥١)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

فقد يكون معك حديث في المسألة، ولكني أخالفك فيه؛ لأنَّه ثابت عندك، وليس بثابت عندي، ولهذا أمثلة لا تحصر، أو يكون ثابتًا عند كلينا، ولكن فهمي له غير فهمك له، واستنباطي منه يخالف استنباطك، ومخالفتي لك هنا ليست مخالفة للحديث، بل لفهمك له، والحديث وحي، ولكن فهمك له ليس وحيًا.

هذه القاعدة الذهبية حوَّرها أحد إخواننا الباحثين المعاصرين فجعلها بهذه الصيغة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونتحاور فيما اختلفنا فيه».

هكذا عدلها أخونا وصديقنا الباحث المدقق عبد الحليم محمد أبو شقة رَحِمَهُ اللَّهُ، صاحب موسوعة: «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، وهو يرى رَحِمَهُ اللَّهُ: أن كل مختلف فيه قابل للحوار، إذا كان الحوار جادًّا ومخلصًا في طلب الحقيقة، بعيدًا عن التعصُّب والانغلاق، وربَّما أدَّى تلاقح الأفكار، وتفاعل الآراء إلى جلاء نقطة غامضة، أو تقريب مسافة كانت بعيدة، أو الخروج بتفسير يقبله الطرفان أو غير ذلك.

ورأيي أن نركز في الحوار على «الجوانب العملية» ونؤجل الجوانب النظرية والتجريدية، فالغالب أن الجدل فيها لا يوصل إلى نتيجة، مثل: «رؤية الله في الآخرة»، فالخلاف فيها بين أهل السُّنَّة والمعتزلة ـ ومنهم الشِّيعة الجعفرية والزيدية ومثلهم الإباضية ـ خلاف قديم عميق، والجدال حوله لا يقدم ولا يؤخر؛ لأن كل فريق متشبث برأيه، مصر على موقفه.

ذكر أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» عن شيخه القاضي أبي حامد المَرْورُوذي من أعلام الشافعيَّة: أنَّه كان إذا رأى تراجع المتكلمين في مسائلهم، وثباتهم على مذاهبهم بعد طول جدلهم، ينشد:

QaradawiBooks.com

ومَـهْـمَـهٍ دلـيـلُـه مُـطَـوَّحُ يدأَبُ فيه القومُ حتَّى يطلحوا
ثُـمَّ يَظَلُّون كأنْ لـم يبرحوا كأنَّما أمسَوْا بحيثُ أصبحوا[1]

والجوانب «العمليَّة» الَّتي أشير إلى جدوى الحوار فيها أقصد بها أمرين:

الأمـر الأوَّل: ما يتعلَّق بمواقفنا السياسـيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، بحيث نجتمع حول هدف واحـد، ونَصْدُر عن موقفٍ واحد، ونواجه المخططات المعادية بإستراتيجيَّة واحدة.

وإذا كنـا في بعض الأحيـان رأينا كيف وقفت الجهات الإسـلاميَّة «الأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، والجمهوريَّة الإيرانيَّة الإسلاميَّة» في مؤتمر السُّكَّان بالقاهرة صيف سنة ١٩٩٤م مع ممثلي الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكيَّة في جبهة واحدة: ضد دعاة الإباحيَّة واسـتحلال الإجهاض بإطلاق، ودعاة العري والحرية الجنسية المطلقة، ورفع سلطة الأسرة عن التربية الجنسـيَّة للأطفال وغير ذلك، فقد اقتضت المصلحة المشـتركة والموقف الفكري المشترك: أن يقف ممثلو الإسلام والنصرانية في خط واحد، فكيف لا يقف السُّنَّة والشِّيعة في خط واحد إذا كان العدو واحدًا يريد الخلاص منهما جميعًا؟!

والأمر الثاني: ما يتعلق بالأحكام الفقهيَّة العملية، فالحوار فيها أيسر وأقرب منالًا من البحث في الأمور العقائديَّة والكلامية.

وربما كان البحـث في المعامـلات والفقه الاقتصادي أسـهل من البحث في العبادات والشعائر والأركان الدينيَّة.

---

(١) انظر: طبقات الشـافعية الكبرى (١٣/٣)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، القاهرة، ط ٢، ١٤١٣هـ. والمهمه: الصحراء. ويطلحوا: يعيَوا.

QaradawiBooks.com

ولا مانع من البحث في العبادات بروح من يريد أن يجد حلًّا للمشكلات القائمة، لا بروح المتعصب المنغلق، الَّذي لا يريد أن يفتح بابًا للتفاهم والتقارب.

ومن ذلك: البحث في «الجمع بين الصلاتين: أي بين الظهر والعصر، أو بين المغرب والعشاء» عند الشِّيعة: أهو رخصة يراد بها التيسير أم هو فريضة ملتزمة كما نرى عند الشِّيعة اليوم في واقع الأمر؟

أم هل يقصد به مخالفة أهل السُّنَّة والتميز عنهم؟

والذي رأيته عند الشِّيعة ما قاله الشيخ السبحاني في كتابه «الإنصاف»: «اتفقت الإماميَّة على أنه يجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختيارًا، وإن كان التفريق أفضل»[1].

ومن ذلك: البحث في الشهادة الثالثة في الأذان: «وأشهد أنَّ عليًّا ولي الله»، أهذه الشهادة الزائدة على الشهادتين المتفق عليهما مما قرره الفقهاء وألزموا به؟ ومن أي عصر تقرر هذا؟ أم هذا من زيادات العوام سكت عليها العلماء خوفا من هياج العامة؟ وهو الظاهر.

مثل هذه المحاورات في الفقه العملي اليومي: تكون مجدية إذا بحثت بروح الجدية والأخوة والتسامح، دون تشنج أو اتهام.

* * *

(١) الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف لآية الله جعفر السبحاني (٢٨٥/١).

QaradawiBooks.com

٥

تجنُّب الاستفزاز

ومن المبادئ المهمة في الحوار الإسلامي الإسلامي والتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة: تجنب الاستفزاز من أحد الطرفين للآخر، فالحوار المنشود ـ أو الجدال بالَّتي هي أحسن كما سمَّاه القرآن ـ يقتضي أن يتجنب كل من الطرفين في خطاب الآخر: العبارات المثيرة، والكلمات المستفزة الَّتي تحدث التوتر في الأعصاب، والإيغار في الصدور، واختيار الكلمات الَّتي تقرب ولا تباعد، وتحبب ولا تبغض، وتجمع ولا تفرق.

ومن ذلك: ترك الألقاب الَّتي لا يحبها أحد الفريقين: كتسمية الشِّيعة بـ «الرافضة»، وأهل السُّنَّة بـ «الناصبة»، وخطاب كلِّ فئة باللقب الَّذي تُسَمِّي به نفسها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، ومن أدب المسلم إذا لقي أخاه المسلم: أن يدعوه بأحب الأسماء إليه، وقد اعتاد العرب أن ينادي بعضهم بعضًا بكنيته، مثل: يا أبا حفص، أو يا أبا الحسن، أو يا أبا ذرٍّ.

ومن ذلك: البعد عن الموضوعات ذات الحساسية الخاصَّة الَّتي إذا أثيرت اشتعلت النار، وارتفع الدخان.

مثل الإساءة إلى آل البيت من قبل السُّنَّة، أو إلى الصحابة من قبل الشِّيعة.

QaradawiBooks.com

ومن النادر ـ بل الشـاذِّ ـ أن يمسَّ أحد من السُّنَّة آل البيت؛ لأن آل البيت عندهم من الكرامة والمنزلـة والقرب ما يجعلهم مُحَبَّبِين إلى كلِّ قلب، ممدوحين على كلِّ لسـان، ومَـن مِن أهل السُّـنَّة لا يحبُّ أمير المؤمنين عليًّـا ـ كرم الله وجهه ـ وفاطمة الزهـراء رضي الله عنها أحبُّ الناسِ إلى رسـول الله ﷺ، وابنيهما: الحسن والحسين سـبطي رسول الله، وسيِّدي شباب أهل الجنَّة رضي الله عنهما ؟

ولذلك تبقى المشـكلة في «سـبِّ الصحابـة» من قبل الشِّـيعة، وخصوصًا الكبـار منهم، الَّذين تُوُفِّيَ رسـولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، مثل: الخلفاء الراشـدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، ومن كان من العشـرة المبشـرة بالجنَّة، مثل: طلحـة، والزُّبَيْر، وهـؤلاء جميعًا من السـابقين الأوَّلين من المهاجريـن، الَّذين كان لهم فضل السـبق إلى الإيمان برسول الله، فصدَّقوه حيث كذبه الناس، وآمنوا به حيث كفر به الناس، ولذا أثنى عليهم الله تعالى فـي كتابه، ورضي الله عنهم ورضوا عنـه، قـال تعالـى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومثل ذلـك: من برأها الله من فوق سـبع سـماوات: الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ونزلت فيها الآيات الكريمة من سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

وكذلك غيرهم مـن الصحابة الَّذيـن هم دون هؤلاء فـي المنزلة، ولكنهم سـعدوا بصحبة محمد ﷺ، وكلهم على خيـر، كما قال تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وهذه هي النقطة الحسَّاسة، بل الشديدة الحساسية بيننا وبين إخواننا من الشِّيعة، فليس يمكن أن نتفاهم ونتقارب فيما بيننا، وأنا أقول: أبو بكر رضي الله عنه، وأنت تقول: أبو بكر لعنه الله!! فكم من الفرق البعيد بين الترضِّي عن شخص وقذفه باللعنة.

وقد تحدَّثتُ مع عدد من علماء الشِّيعة، ممَّن أعرفهم من ذوي الأناة والحكمة، وقلت لهم: إنَّ هذه القضيَّة هي الحاجز الأوَّل أمام التقارب، ولا بدَّ للعقلاء أن يحاصروها، أو على الأقل يخففوا من آثارها، فإنَّها إذا تُرِكت لغرائز العوام المشحونة بالغضب والحقد: جديرة بأن تأكل الأخضر واليابس، ولا تدع لأهل العلم والحكمة فرصة في التوحيد أو التقريب.

والحق أقول: إنَّ هؤلاء العقلاء ـ أمثال: آية الله محمد علي التسخيري، وآية الله واعظ زاده وغيرهما ـ وافقوني تمامًا على ذلك، وأكدوا لي أن هذا الاتجاه يَقْوَى عندهم وينتشر شيئا فشيئا، حتَّى إن المناهج الدراسية الجديدة في إيران تذكر في بعض كتبها مواقف تاريخية لأبي بكر وعمر فيها تمجيد لهما وثناء عليهما.

قلت لهم: هذا ما يجب أن يُتبنَّى ويُتوسع فيه في مؤسسات التربية الحكوميَّة، وفي مجال التربية الأسرية الخاص، فإن الثقافة الشيعية الشعبية كثيرًا ما تحمل بأوهام ومبالغات وخزعبلات، لا تثبت أمام النقد العلمي، ولكنها عند العامة حقائق ـ أو معتقدات ـ تحرك سواكنهم، وتثير كوامنهم.

QaradawiBooks.com

والحقيقة أن هذه القضيَّة الخطيرة في حاجة إلى تمحيص ومصارحة، لتصفيتها، وجلاء الغبار عنها، أو على الأقل للوقوف موقفًا إيجابيًّا حكيمًا منها.

وأحبُّ أن أضع هذه النقاط أمام إخواني الشِّيعة، لا أقصد بها إلا ابتغاء وجه الله، وخدمة دينه، وجمع الأُمَّة كلِّها عليها:

أوَّلًا: أنَّ هذا الَّذي حدث بين الصحابة بعضهم وبعض من خلاف ـ وإن دخلته المبالغات ولوثته الأهواء وضخمته أجواء الفتن ـ قد أصبح تاريخًا انتهى، وطويت صفحاته بحلوه ومره، وخيره وشره، وسيسأل الله أصحابها ويجزيهم بأعمالهم ونياتهم، وأولى بنا أن ندع ذلك إلى الله، ولا نكلف أنفسنا حسابهم، وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وهذا ما جعل الخليفة الراشد المَرْضي عمر بن عبد العزيز يقول حينما سئل عن تلك الفتن وما جرى فيها: تلك دماء طهر الله منها أيدينا، فلا نلطخ بها ألسنتنا[1]!

إنَّ من قواعد التسامح بين المختلفين من أهل الديانات: أن حساب الضال منهم على ضلاله، والكافر على كفره، إنما هو إلى الله تعالى، وليس إلينا، وأن موعد هذا الحساب إنما هو في الآخرة، وليس في هذه الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

(١) ذكره الخطابي في العزلة صـ٤٤، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

QaradawiBooks.com

وقال سبحانه لرسوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

فإذا كان هذا شأن المختلفين من أهل الديانات المتباينة، فكيف بالمختلفين من أهل الدين الواحد؟

إن الأجدر بنا هنا أن نكل هؤلاء المختلفين إلى نياتهم وسرائرهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا.

على أن هؤلاء الصحابة لو سلمنا أنهم أخطؤوا أو أذنبوا، لكان لهم من صحبتهم لرسول الله ﷺ، ومن جهادهم معه ما يشفع لهم عند الله، كما قال الرسول لعمر في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وقد شهد بدرًا، ولكنه قام بعمل من أعمال التجسس لحساب قريش، قُبَيْل فتح مكة، فقال عمر لرسول الله ﷺ: دعني أضرب عنقه فقد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «**وما يُدْريكَ يا عمر، لعلَّ اللهَ اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم**»[1].

وقد قال الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»: «لا يجوز أن يُنسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ، وهم كلهم لنا أئمَّة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بحسن الذكر؛ لحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم، هذا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن عليّ.

QaradawiBooks.com

مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ: أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض[١]. فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهيدا، وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأ في التأويل وتقصيرا في الواجب عليه؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة، فوجب حمل أمرهم على ما بيناه.

وممَّا يدلُّ على ذلك ما قد صحَّ وانتشر من إخبار عليٍّ بأن قاتل ابن صفيَّة في النار، وقوله: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**بَشِّرْ قاتل ابن صفيَّة بالنار**»[٢]. وإذا كانت كذلك فقد ثبت أن طلحة والزبير غير عاصيين، ولا آثمين بالقتال؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي ﷺ في طلحة: «**شهيد**»، ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار.

وكذلك من قعد ـ أي: عن القتال مع أحد الفريقين ـ غير مخطئ في التأويل، بل صواب أداهم إليه الاجتهاد، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظيم غنائهم في الدين رضي الله عنهم.

وقد سئل بعضهم عن الدماء الَّتي أريقت فيما بينهم فقال: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤].

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٣٩)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت، وقد تكلم بعض أهل العلم في الصلت بن دينار وضعفه، وتكلموا في صالح بن موسى. وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٦)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٦٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والطبراني (١٢٣/١)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٦٧/٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. عن عليّ بن أبي طالب. وابن صفية هو: الزبير بن العوام، وصفية أم الزبير هي عمة رسول الله ﷺ.

QaradawiBooks.com

وسئل بعضهم عنها أيضا فقال: تلك دماء قد طهر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني، يعني: في التحرز من الوقوع في الخطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبًا فيه.

قال ابن فورك: ومن أصحابنا من قال: إن سبيل ما جرى بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف، ثمَّ إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة، فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة.

وقال المحاسبي: فأما الدماء فقد أُشكِل علينا القول فيها باختلافهم، وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيًا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله ﷻ، إذ كانوا غير متهمين في الدين. ونسأل الله التوفيق»[1] انتهى.

ثمَّ إنَّ علينا ـ من ناحية أخرى ـ أن نشتغل بحاضرنا، بدل أن يُشغلنا ماضينا، وحاضرنا مليء بالمصاعب والآفات والعقبات الَّتي تقف في وجوه المُصْلِحين والمُجَدِّدين، وهي تحتاج منا إلى جهود مضنية، كفيلة بأن تشغل عقولنا وقلوبنا وسواعدنا وأوقاتنا وأعمارنا.

وقد سمعتُ شيخنا مُحَمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ يردُّ على رجل يجادله فيما

(١) تفسير القرطبي (٣٢١/١٦، ٣٢٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

كان بين الصحابة، ويثير سؤالًا لا معنى له: أيُّهما كان أحقَّ بالخلافة: أبو بكر أم علي؟

فقال له الشيخ: لقد ذهب أبو بكر وذهب علي، وذهبت الخلافة الراشدة والأموية والعباسية والعثمانية، وألغيت الخلافة نهائيا من ديار الإسلام، وأصبح الَّذين يتحكمون فينا هم الخواجات الأجانب، لا أبو بكر ولا علي، فإلى متى نظل في هذه المفاضلات الحمقاء؟!

ثانيًا: أن مسألة «السب» في ذاتها ليست محمودة شرعًا، فالمؤمن ليس سبَّابًا ولا لعَّانًا، والقرآن ينهى عن سب الأصنام، خشية أن يثير ذلك المشركين فيسبُّوا الله تعالى دفاعًا عن آلهتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ومن قرأ السُنَّة النبوية وجد جملة من الأحاديث تنهى عن السب، ففي «صحيح الجامع الصغير» وزيادته تقرأ عدة أحاديث كلها تنهى عن السب، من رقم (٧٣٠٩) إلى (٧٣٢٢)[١]، ومنها:

«لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٢].

«لا تسبُّوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»[٣].

«لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[٤].

---

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني (١٢٢٢/٢، ١٢٢٣)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، والكتاب مبني على الجامع الصغير وزيادته للسيوطي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٤) رواه مسلم في الألفاظ (٢٢٤٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«**لا تسبُّوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة**»[١].

«**لا تسبُّوا الرِّيحَ، فإنَّها من رَوْح الله**»[٢].

«**لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم**»[٣].

وأعجب هذه الأحاديث قوله ﷺ: «**لا تسبُّوا الشيطان، وتعوَّذوا بالله من شرِّه**»[٤]، حتَّى الشيطان الرجيم لا ينبغي أن نشتغل بسببه، ولكن نتعوذ بالله من شره؛ لأن السب عمل سلبي، والاستعاذة من شر الشيطان عمل إيجابي.

والغربيون يقولون: بدل أن تسب الظلام أضئ شمعة، أي: أن سب الظلام ولعنه لا يغير من الواقع شيئا، وخير منه أن تعمل شيئا يضيء لك الطريق في الظلام، ولو كان شمعة صغيرة.

ثمَّ إنَّ عدم السبِّ واللعن مطلقًا لا يحمل أيَّة مسؤوليَّة، فليس سبُّ الأشرار أو الكفَّار ولعنهم واجبًا دينيًّا، إذا لم يقم به المُكلَّف كان معاقبًا عليه أمام الله.

حتَّى قال بعض الأئمَّة: «لو عاش إنسان طول عمره دون أن يلعن فرعون أو أبا جهل أو إبليس ما كان محاسبًا يوم القيامة على ذلك. ولو

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وقال مخرجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٥١٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٣١)، عن زيد بن خالد الجهني.

(٢) رواه أحمد (٢١١٣٩)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصححه على شرطهما، وقال الذهبي: على شرط البخاري. عن أبي بن كعب.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٥)، عن جابر.

(٤) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وأبو القاسم تمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أنَّه لعن مرَّة واحدة من لا يستحقُّ اللعنة، لكان محاسبًا أمام الله تعالى يوم الدِّين: لماذا لعنه؟».

ولذا قال الإمام الغزالي: «المؤمن ليس بلعَّـــان، فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم، دون الأشخاص المعينين، فالاشتغال بذكر الله أولى، فإن لم يكن ففي السكوت سلامة.

قال مَكِّيُّ بن إبراهيم: كنَّا عند ابن عـــون، فذكروا بلال بن أبي بُرْدة «الوالي»، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه، وابن عون ساكت، فقالوا: يا ابن عون، إنما نذكره لما ارتكب منك! فقـــال: إنَّما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: «لا إلٰه إلا الله»، و«لعن الله فلانًا»، فلأن يخرج من صحيفتي: «لا إلٰه إلا الله» أحب إليَّ من أن يخرج منها: «لعن الله فلانًا»[(١)]!

وقال ابن عمر: أبغض الناس إلى الله كل طعَّان لعَّان»[(٢)].

ثـــمَّ إنَّ ســـبَّ الصحابـــة خاصَّـــة غيـــر لائـــق بالمســـلم؛ لصلتهـــم برسول الله ﷺ، بوصفهم أصحابَه، وأخصَّ الناس به، فهم قد تخرَّجوا في مدرسته، وتعلَّموا في حجره، واقتبســـوا من مشكاة نبوَّته، وشاهدوا تنزيل القرآن، ووقائع الســـيرة، ومن الطبيعي والمنطقي أن ينالهم قبس من نور النبوَّة، وأن ينهلوا من فيض الرسالة، ومن سبَّ أقرب تلاميذ الأستاذ إليه، فكأنَّما سبَّ الأستاذ نفسه، وفي هذا كتب العلامة أبو الحسن الندوي كتابه المعبر «صورتان متناقضتان» صورة تلاميذ النبوة عند الشِّيعة وعند السنة!

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٧٤١).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٦٨٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٦٧). انظر: إحياء علوم الدين (١٢٥/٣، ١٢٦).

QaradawiBooks.com

ولهذا كان التابعون أقرب في الفضل إليهم؛ لأنهم تتلمذوا عليهم، وأخذوا عنهم، ومن بعد التابعين بعدوا عن نور النبوة أكثر، وكل عصر يبعد أكثر من غيره.

وقد أثنى القرآن على الصحابة في مواضع منه، كما في سورة التوبة، وأواخر الأنفال، وآخر الفتح، وسورة الحديد، وسورة الحشر، وغيرها، بل أثنى القرآن على من اتبع الصحابة بإحسان، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

كما أثنى الرسول عليهم عمومًا وخصوصًا في أحاديث انتشرت واستفاضت وبلغت مبلغ التواتر.

والتاريخ شاهد صدق على فضل هؤلاء، فهم الَّذين حفظوا لنا القرآن، ونقلوه إلينا بالتواتر، وهم الَّذين رووا لنا سنن النبي وأقواله وأفعاله وتقريراته.

وهم الَّذين فتحوا الفتوح، ونشروا الإسلام في آفاق الأرض، فلولاهم ما كنا نحن اليوم مسلمين، فهم الَّذين علَّموا الأمم الإسلام بعد أن تعلموه من رسولهم ﷺ.

نصيحة للفريقين:

وأودُّ أن أنصح الفريقين من السُّنَّة والشِّيعة أن يحرصوا على نقل الأقوال الَّتي من شأنها أن تجمع ولا تفرق، وأن تقرب ولا تباعد، وأن تزرع المحبَّة لا الأحقاد ولا البغضاء، فإنَّها هي الحالقة، لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين.

QaradawiBooks.com

من ذلك ما نقله العلامة الهندي الشيخ رحمة الله في كتابه القيم «إظهار الحق» الَّذي رد به على المنصرين فأفحمهم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنقل خمسة أقوال لأهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ على عدد الخمسة الطاهرين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

١ ـ في «نهج البلاغة» الَّذي هو كتاب معتبر عند الشِّيعة قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هكذا: «لله در فلان، فلقد قوَّم الأَوْد، وداوى العمد، وأقام السنة، وقمع البدعة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرقٍ مُتَشَعِّبة لا يهتدي فيها الضالُّ، ويستيقن المهتدي»[1] انتهى.

والمراد بفلانٍ ـ على مختار أكثر الشارحين منهم البحراني ـ أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعلى مختار بعض الشارحين: عمر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عشرة أوصاف من أوصاف أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فلا بد من وجودها، ولما ثبتت هذه الأوصاف له بعد مماته بإقرار علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فما بقي في صحَّة خلافته شك.

٢ ـ وفي «كشف الغُمَّة» الَّذي هو تصنيف علي بن عيسى الأردبيلي الاثني عشري الَّذي هو من الفضلاء المُعْتَمَدِين عند الإماميَّة: «سئل الإمام جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن حلية السيف هل تجوز؟ فقال: نعم، قد حلَّى أبو بكر الصِّدِّيق سيفه. فقال الراوي: أتقول هكذا؟! فوثب الإمام عن مكانه، فقال: نعم، الصديق، نعم، الصديق، نعم، الصديق، فمن لم يقل له: الصديق، فلا صدق الله قوله في الدنيا والآخرة!!».

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٣/١٢)، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

فثبت بإقرار الإمام الهمام أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صديق حق، منكره كاذب في الدنيا والآخرة.

٣ ـ ووقع في بعض مكاتيب علي رضي الله عنه ـ على ما نقل شارحو «نهج البلاغة» ـ في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما هكذا: «لعمري، إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجُرح في الإسلام شديد، رحمهما الله، وجزاهما الله بأحسن ما عملا»[1].

٤ ـ ونقل صاحب «الفصول» الَّذي هو من كبار علماء الإماميَّة الاثني عشرية عن الإمام الهمام محمد الباقر رضي الله عنه هكذا: «إنه قال لجماعة خاضوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم: ألا تخبروني أنتم من المهاجرين الَّذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله؟ قالوا: لا، قال: فأنتم من الَّذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]».

فالخائض في الصديق والفاروق وذي النورين رضي الله عنهم خارج من الفرق الثلاثة الَّذين مدحهم الله بشهادة الإمام الهمام رضي الله عنه.

٥ ـ وفي التفسير المنسوب إلى الإمام الهمام الحسن العسكري رضي الله عنه وعن آبائه الكرام: «إن الله أوحى إلى آدم ليفيض على كل واحد من

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٧٦/١٥).

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

محبي محمد وآل محمد وأصحاب محمد: ما لو قسمت على كل عدد ما خلق الله في طول الدهر إلى آخره، وكانوا كفارًا، لأداهم إلى عاقبة محمودة، وإيمان بالله، حتَّى يستحقوا به الجنة، وإن من يبغض آل محمد وأصحابه أو واحدًا منهم: يعذبه الله عذابًا لو قُسِم على مثل خلق الله لأهلكهم أجمعين».

فعلم أن المحبة إنما تكون بالنسبة إلى الآل والأصحاب ﷺ، لا بالنسبة إلى أحدهما، وإن بغض واحد من الآل والأصحاب كاف للهلاك، نجَّانا الله من سوء الاعتقاد في حق الصحابة والآل ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وأماتنا على حبهم. ونظرًا إلى الآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة: اتَّفق أهل الحقِّ على وجوب تعظيم الصحابة ﷺ»[1].

* * *

(١) إظهار الحق صـ٤٤٥، ٤٤٦، نشر إدارة إحياء التراث الإسلامي، الدوحة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

اجتناب تكفير كل من قال: «لا إله إلا الله»

ومن المبادئ المهمة هنا في الحوار والتقريب بين المذاهب: تبني المبدأ الَّذي ذكرته في كتابي: «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» وهو: الكف عن تكفير المسلمين، وتجنب هذا المنزلق الخطير.

ولا يخفى على دارس أن أخطر أدوات التدمير لبنيان الاتحاد أو التقارب بين المسلمين على الإطلاق: هو «التكفير»: أن تُخرج مسلمًا من الملة، ومن دائرة أهل القبلة، وتحكم عليه بالكفر الأكبر والردة الكاملة.

فهذا بلا ريب يقطع ما بينك وبينه من حبال، فلا لقاء بين مسلم ومرتد عن الإسلام، فهما خطان متوازيان لا يلتقيان.

وقد ذكرت في رسالتي: «ظاهرة الغلو في التكفير» أخطاء هذا الاتجاه وأخطاره، فهو خطيئة دينيَّة، وخطيئة عِلميَّة، وخطيئة حركية وسياسية.

والسُّنَّة النبوية تحذر أبلغ التحذير من اتهام المسلم بالكفر في أحاديث صريحة صحيحة مستفيضة.

ومن ذلك: حديث ابن عمر المتفق عليه عنه ﷺ: «**أيُّما رجلٍ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلَّا رجعت عليه**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠).

QaradawiBooks.com

ومنها حديث أبي ذرٍّ مرفوعًا: «**من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: يا عدوَّ الله، وليس كذلك؛ إلَّا حار عليه**»[١]. أي: رجع عليه.

وحديث أبي قلابة: «**من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقَتْلِه**»[٢].

ومن هنا كان الواجب على أبناء الأُمَّة الإسلاميَّة الكفَّ عن كلِّ من قال: «لا إلٰه إلا الله»، فقد صحَّت الأحاديث أنَّ من قالها فقد عصم دمه وماله، وحسابه على الله[٣].

ومعنى أنَّ «حسابه على الله»: أنَّنا لم نؤمر بأن نشقَّ عن قلبه، بل نعامله وفق الظواهر، والله يتولى السرائر.

وقصَّة أسامة بن زيد مع الرجل الَّذي قتله في المعركة بعدما قال: «لا إلٰه إلا الله» واضحة كل الوضوح، فقد أنكر عليه الرسول الكريم قتله بعد قولها، ولم يقبل منه دعواه أنه قالها تعوذا من السيف، قائلًا: «**هلَّا شققت عن قلبه؟!**»[٤].

ولهذا لا يجوز اقتحام هذا الحِمَى، وتكفير أهل الإسلام، لذنوب ارتكبوها أو بدع اقترفوها، أو آراء اعتنقوها، وإن أخطؤوا الصواب فيها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٤٥)، ومسلم في الإيمان (٦١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٥٢)، ومسلم في الإيمان (١١٠)، عن ثابت بن الضحاك.

(٣) منها الحديث المتفق عليه: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فمن قال: لا إلٰه إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله». رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة. حديث طارق الأشجعي، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال: لا إلٰه إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله». رواه مسلم في الإيمان (٢٣).

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة بن زيد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

يقول الإمام ابن الوزير في هذه النقطة: «من مرجحات ترك التكفير: أمر رسول الله ﷺ بذلك في هذه المسألة بالنصوصية والخصوصية، وهذا من أوضح المرجحات، وفي ذلك أحاديث: منها حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفُّ عمَّن قال: لا إله إلا الله، لا نُكَفِّره بذنب، ولا نُخْرِجُه من الإسلام بعمل...**» الحديث، رواه أبو داود في كتاب «الجهاد» من «السنن»[(١)]، ورواه أبو يعلى من طريق أخرى[(٢)]، وليس فيها من ضعف إلا يزيد الرقاشي العبد الصالح، ضعف من قبل حفظه، وقد أثنى عليه الحافظ ابن عدي ووثقه، وقال: «عنده أحاديث صالحة عن أنس أرجو أنه لا بأس به»، هذا مع الثناء النبوي على عموم التابعين، فأقل أحواله أن يُقوِّي طريق أبي داود ويشهد لها.

الحديث الثاني: عن أبي هُرَيْرة عن رسول الله ﷺ نحو حديث أنس بمعناه، رواه أبو داود[(٣)].

الحديث الثالث: عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ: «**كفُّوا عن أهل لا إله إلا الله، لا تُكَفِّروهم بذنب. من كفَّر أهل لا إلٰه إلا الله فهو إلى الكفر أقرب**». رواه الطبراني في «الكبير» من حديث الضحاك بن حمرة عن عليِّ بن زيد[(٤)]. وحمرة بالحاء والراء المهملتين بينهما ميم.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٣٢)، وأبو يعلى (٤٣١١، ٤٣١٢)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٣٧)، وقال الأرناؤوط في تخريج أبي داود: حسن لغيره.

(٢) قلت: إنما رواه أبو يعلى من طريقين ليس فيهما يزيد الرقاشي، إنما من نفس طريق أبي داود من طريق يزيد بن أبي نشبة.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٣٣)، والدارقطني في العيدين (١٧٦٨)، وقال: مكحول لم يسمع من أبي هريرة ومن دونه ثقات.

(٤) رواه الطبراني (٢٧٢/١٢).

QaradawiBooks.com

قال الهيثمي: مختلف في الاحتجاج بهما[١]. قلت: لكن حديثهما يصلح في الشواهد ويقوى بما تقدم.

وفي الباب عن علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وعائشة رضي الله عنهم، سبعتهم عن النبي ﷺ بمثل ذلك، لكن في أسانيدها مجاريح، لكن بمجموعه ـ مع ما تَقَدَّم ـ قوَّة، ولحديث عليٍّ رضي الله عنه شواهد عنه، وهو ما تقدم من عدم تكفيره الخوارج من طرق، ومن رده لأموالهم من طرق، ويعضد ذلك عمل الصحابة، فعن جابر أنه قيل له: هل كنتم تدعون أحدا من أهل القبلة مشركا؟ قال: معاذ الله! ففزع لذلك، قال: هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا. رواه أبو يعلى والطبراني في «الكبير»[٢]، ورجاله رجال الصحيح، والحديث إذا اشتهر العمل به في الصحابة دل على قوته، وهذه الشواهد السبعة والحديث الَّذي قبلها كلها في «مجمع الزوائد» في أوائله.

ثم يذكر وجها آخر فيقول: «قد تكاثرت الآيات في العفو عن الخطأ، والظاهر أن أهل التأويل أخطؤوا، ولا سبيل إلى العلم بتعمدهم؛ لأنَّه من علم الباطن الَّذي لا يعلمه إلا الله تعالى، قال الله تعالى في خطاب أهل الإسلام خاصَّة: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وصحَّ في تفسيرها أنَّ الله تعالى قال: قد فعلت، في حديثَيْن

(١) مجمع الزوائد (٤٠٢).

(٢) رواه أبو يعلى (٢٣١٧)، والطبراني في الأوسط (٧٣٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٨): رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر في المطالب العالية (٢٩٩٨): صحيح موقوف.

QaradawiBooks.com

صحيحَيْن: أحدهما عن ابن عبَّاس[١]، والآخر عن أبي هُرَيْرة[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فقد ذمهم بعلمهم، وقال في قتل المؤمن مع التغليظ العظيم فيه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، فقيد الوعيد فيه بالتعمد، وقال في الصيد: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ [المائدة: ٩٥]، وجاءت الأحاديث الكثيرة بهذا المعنى ـ كحديث سعد[٣] وأبي ذرٍّ[٤] وأبي بَكْرة[٥] مُتَّفق على صِحَّتها ـ فيمن ادَّعى أبًا غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فشرط العلم في الوعيد.

ومن أوضحها حُجَّة: حديث الَّذي أوصى ـ لإسرافه ـ أن يُحرق ثمَّ يُذرى في يوم شديد الرياح، نصفه في البر، ونصفه في البحر، حتَّى لا يقدر الله عليه، ثمَّ يعذبه! ثمَّ أدركته الرحمة لخوفه، وهو حديث متفق على صحته عن جماعة من الصحابة، منهم: حذيفة[٦]، وأبو سعيد[٧]، وأبو هُرَيْرة[٨]، بل رواته منهم قد بلغوا عدد التواتر، كما في «جامع الأصول»، و«مجمع الزوائد»، وفي حديث حذيفة: أنَّه كان نبَّاشًا.

وإنَّما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد، ولذلك خاف العقاب، وأما جهله بقدرة الله تعالى ما ظنَّه محالًا، فلا يكون كفرًا إلَّا لو

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٢٦)، وأحمد (٢٠٧٠).
(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢٥)، وأحمد (٩٣٤٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٦٣).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٠٨)، ومسلم في الإيمان (٦١).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٣٢٦)، ومسلم في الإيمان (٦٣)(١١٥).
(٦) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥١، ٣٤٥٢).
(٧) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٧).
(٨) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨١)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٦).

QaradawiBooks.com

علم أنَّ الأنبياء جاؤوا بذلك، وأنَّه ممكن مقدور، ثمَّ كذَّبهم أو أحدًا منهم، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل.

ويعضد ما تقدم بأحاديث: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظُنَّ بي ما شاء**»[(١)]. وهي ثلاثة أحاديث صحاح.

ولهذا قال جماعة جلة من علماء الإسلام: إنَّه لا يكفر المسلم بما يبدر منه من ألفاظ الكفر، إلا أن يعلم المتلفظ بها أنها كفر، قال صاحب «المحيط»: وهو قول أبي عليٍّ الجُبَّائي ومُحَمَّد والشافعي.

ولعل هذا الحديث الصحيح بل المتواتر حجتهم على ذلك[(٢)] اهـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل الَّتي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦]. وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٦٠١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في الرقائق (٦٣٣)، والطبراني (٨٧/٢٢)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٠/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن واثلة بن الأسقع.

(٢) إيثار الحق على الخلق صـ٣٩٢ ـ ٣٩٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

(٣) سبق تخريجه صـ٥١.

QaradawiBooks.com

والخوارج المارقون الَّذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمَّة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولـم يكفِّرهم عليٌّ بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم عليٌّ حتَّى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الَّذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفَّروا مع أمر الله ورسـوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الَّذين اشـتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟! فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفِّر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققـة، فكيف إذا كانت المكفِّرة لها مبتدعـة أيضًا؟! وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعًا جهال بحقائق ما يختلفون فيه.

والأصل أن دمـاء المسـلمين وأموالهم وأعراضهـم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسـوله، قـال النبي ﷺ لما خطبهم في حجَّة الـوداع: «**إنَّ دماءكم وأموالكـم وأعراضكم عليكم حـرام، كحرمة يومكم هـذا، في بلدكم هـذا، في شـهركم هذا**»[(١)]. وقال ﷺ: «**كل المسـلم على المسـلم حرام: دمه ومالـه وعرضه**»[(٢)]. وقال ﷺ: «**من صلى صلاتنا واسـتقبل قبلتنـا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسـلم الَّذي له ذمة الله، وذمة رسـوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»[(٣)]،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧١٣)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الصلاة (٣٩١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقال: «**إذا التقى المسلمان بسيْفَيْهما فالقاتل والمقتول في النار**». قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(١)، وقال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٢)، وقال: «**إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»(٣). وهذه الأحاديث كلها في الصحاح.

وإذا كان المسلم متأولًا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر بن الخطاب في حاطب بن أبي بلتعة: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٤)؟ وهذا في الصحيحين، وفيهما أيضا من حديث الإفك: أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين(٥)! واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهم، فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم: إنك منافق، ولم يكفِّر النبي ﷺ لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنَّة.

وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد أنه قتل رجلًا بعدما قال: لا إلٰه إلا الله، وعظَّم النبي ﷺ ذلك لما أخبره وقال: «**يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إلٰه إلا الله؟!**»(٦)، وكرر ذلك عليه، حتَّى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ! ومع هذا لم يوجب عليه قودًا،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير.
(٣) سبق تخريجه صـ٤٨.
(٤) سبق تخريجه صـ٣٨.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.
(٦) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

ولا دية، ولا كفارة، لأنَّه كان متأولًا، ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذًا.

فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصِفّين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم، وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.

ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك.

هذا مع أن الله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهى عن البدعة والاختلاف، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال النبي ﷺ: «**عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة**»[(١)]، وقال: «**الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**»[(٢)]، وقال: «**الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، والذئب إنما يأخذ القاصية والناحية من الغنم**»[(٣)].

(١) رواه الطبراني (٤٤٧/١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٠٠): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة. عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن عمر.

(٣) رواه أحمد (٢٢٠٢٩)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والطبراني (١٦٤/٢٠)، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالًا أو غاويًا وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وإذا كان قادرًا على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولَّاه، وإن قدر أن يمنع من يُظْهر البدع والفجور منعه، وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه، الأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضلُ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله، فإنْ كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنَّة، فإن كانوا في السُّنَّة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًّا**»[(١)].

وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الَّذين خُلِّفوا حتَّى تاب الله عليهم، وأمَّا إذا ولي غيره بغير إذنه وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلًا وضلالًا، وكان قد رد بدعة ببدعة.

حتى إن المصلي الجمعة خلف الفاجر اختلف الناس في إعادته الصلاة، وكرهها أكثرهم، حتَّى قال أحمد بن حنبل في رواية عبدوس: «من أعادها فهو مبتدع!»، وهذا أظهر القولين؛ لأن الصحابة لم يكونوا يعيدون الصلاة إذا صلُّوا خلف أهل الفجور والبدع، ولم يأمر الله تعالى قط أحدًا إذا صلَّى كما أمر بحسب استطاعته ـ أن يعيد الصلاة»[(٢)]. اهـ. كلام شيخ الإسلام.

(١) رواه مسلم في المساجد (٦٧٣)، وأحمد (١٧٠٩٧)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨٦/٣، ٢٨٧)، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

هذا ما قرره شـيخ الإسـلام ابن تيمية بوضوح، منكرًا أشد الإنكار على من يكفِّرون النـاس بذنب أو خطأ، داعيًا إلـى الالتزام بالجماعة، وعدم الشذوذ عنها، ومجوزًا الصلاة وراء المبتدع.

ومع هذا نجد ـ فيمن ينسبون أنفسـهم إلى ابن تيمية ـ من يجهل هذه الحقائق كلها، ومن يُشهر سيف التكفير في وجه كل من يخالفه في رأي يرى أنه الحق، حتَّـى إن مِن هؤلاء مَن كفَّروا طوائف كبيرة تتبعها جماهير غفيرة من الأُمَّة كالأشاعرة، ومنهم من تطاول على كبار العلماء والدعاة، وحكم بكفرهم، غير خائف أن يبوء هو بذلك، كما أنذر بذلك الحديث الشريف.

رد حديث الآحاد لشبهة لا يُكَفَّر به:

ومن الخطأ البالغ الَّذي يقع فيه بعض الناشئين في العلم أو الحدثاء في الدعوة، أو المتعجلين فـي الفتوى: تكفير من ينكر بعض الأحاديث الصحاح من أحاديـث الآحاد، الَّتي ربما أخرجها الشـيخان: البخاري، ومسلم، أو أحدهما، لشـبهات لاحت لهم، قد تكون قويَّة معتبرة، وقد تكون واهية لا اعتبار لها، ولكنها ـ في نظر أنفسـهم ـ شبهات جعلوها عللًا قادحة في ثبوت متن الحديث.

فهم يردون الحديث لأنهم يرونه مخالفًا لدلالة القرآن الواضحة، أو للأحاديـث اليقينية المتواتـرة، أو للعلـم القطعي المؤكـد، أو للواقع التاريخي الثابت، أو لدلالة الحس أو العقـل، أو غير ذلك ـ مما جعله علماء الحديث أنفسهم من دلائل الوضع في الحديث ـ وإن كان غيرهم قد لا يُسلَّم لهم بذلك.

QaradawiBooks.com

ولا وجه للحكم بالكفر في هذه المسألة، إذ العلماء لا يكفِّرون إلا من أنكر السُّنَّة مطلقًا، ولم يعتبرها مصدرًا للأحكام الشرعية بعد القرآن؛ لأن من فعل ذلك يلزمه أن ينكر الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، الَّتي لم تثبت إلا بالسُّنَّة، مثل: كون الصلوات خمسًا، وأن لكل منها وقتها المعلوم، وركعاتها المحددة، وهيئاتها المعينة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم، وهذا كله مما ثبت بالسُّنَّة.

أما من أنكر حديثًا أو جملة أحاديث من أحاديث الآحاد لاعتبار ظهر له، فلم يذهب فقيه واحد ولا عالم معتبر إلى كفره.

وهؤلاء أئمَّة أهل السُّنَّة لم يكفِّروا الخوارج ولا المعتزلة، رغم إنكارهم لأحاديث كثيرة من أحاديث الصحاح، كأحاديث رؤية الله تعالى في الجنة رغم استفاضتها، وحديث سحر النبي ﷺ وغيرها، مما ذكره ابن قتيبة ورد عليه في كتابه الشهير «مختلف الحديث».

وكم من إمام رد حديثًا يراه غيره صحيحًا، ولا يراه هو كذلك.

بل من المحدِّثين أنفسهم من يرد من الأحاديث ما يصححه غيره، ولهذا ترك البخاري أحاديث جمة أخرجها غيره، وكذلك فعل الإمام مسلم في «صحيحه».

وهذا إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين رد أحاديث «فرائض الصدقة» الَّتي أخرجها الشيخان.

ولقد كان لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها آراء خاصَّة في شأن بعض الأحاديث الَّتي تراها مخالفة لظاهر القرآن، فتردها وتتهم الصحابة الَّذين رووها بأنهم أخطؤوا، ولم يحسنوا السماع والتلقي من النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

وهذا مثل موقفها من حديث: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»[١]، إذ تراه معارضا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، وقد رواه أكثر من صحابي.

وحديث: «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها**»[٢]، إذ ترى أن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة، وأن المرأة كانت كافرة[٣].

وحديث وقوفه ﷺ على قليب بدر، ومناداته لصناديد قريش بأسمائهم بعد دفنهم: «**هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا**»[٤].

وقول عمر وبعض الصحابة: أَتُكلِّمُ قومًا قد جَيَّفُوا؟!

يقول العلَّامة ابن كثير بعد أن ذكر هذا الحديث في كتابه «البداية والنهاية»: «وهذا مما كانت عائشة رضي الله عنها تتأوله من الأحاديث ـ كما قد جمع ما كانت تتأوله في جزء ـ وتعتقد أنه معارض لبعض الآيات، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]».

قال: «وليس هو بمعارض له، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم، للأحاديث الدالة نصًّا على خلاف ما ذهبت إليه رضي الله عنها وأرضاها»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٩٢٨)، كلاهما في الجنائز، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

(٣) بيَّنا خطأ أم المؤمنين في ذلك، حيث أنكرت على أبي هريرة روايته لهذا الحديث، وذلك في كتابنا: كيف نتعامل مع السنة النبوية صـ٦٠، ٦١، نشر دار الشروق، القاهرة.

(٤) رواه مسلم في الجنة (٢٨٧٣)، والنسائي في الجنائز (٢٠٧٤)، عن أنس بن مالك.

(٥) البداية والنهاية (١٥١/٥)، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يتهم أحد من الصحابة ولا من بعدهم أم المؤمنين رضي الله عنها برقة دينها، أو ضعف يقينها، أو تنكرها لسنة زوجها رسول الله ﷺ ناهيك أن يكفروها!!

لقد خالفوها جميعا، وبينوا الخطأ في وجهة نظرها، ولكن أحدًا لم يمسها بكلمة بسبب آرائها هذه، بل جمع المتأخرون آراءها في كتب مفردة[1]، وتحدَّثوا عنها بكل إجلال وتوقير؛ لأنَّها صادرة عن اجتهاد، فهي معذورة فيه، بل مأجورة عليه.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) مثل: الإصابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للإمام الزركشي، وقد اختصره الحافظ السيوطي.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٧

البعد عن شطط الغلاة

ومن المبادئ الَّتـي تجب رعايتها في حوار المسـلمين بعضهم مع بعض: البعد عن شطط الغلاة والمتطرفين من كلا الفريقين، الَّذين يثيرون الفتن في حديثهم إذا تحدثوا، وفي كتابتهـم إذا كتبوا، وإذا كانت الفتنة نائمة أيقظوها، أو ساكنة حركوها، أو ضعيفة تبرعوا لها من دمائهم حتَّى تحيا وتقوى.

إن المعوَّل عليه هنا هم: المعتدلون من أهل البصيرة والحكمة، الَّذين لا يتشـنجون، ولا يتنطعـون، وينظرون إلـى الأمور بهـدوء وعقلانية ووسـطية، لا ينظرون إلى الأمر من زاوية واحدة، بل من جميع زواياه، ولا يكتفون بالنظر إلى السـطح، بل يحاولون أن يغوصوا في الأعماق، ولا يقتصـرون على آثاره اليوم، بـل يمتدون ببصرهم إلى المسـتقبل، وهؤلاء هم الَّذين رزقوا «الفقه» بمعناه الواسـع، ونعني به: فقه السنن، وفقه المقاصد، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات.

إنَّنا إذا نظرنا في ضوء هذا الفقه الرحب المنشود: نجد أن المصلحة تقتضي توحيد المسـلمين في مواجهة القوى الكبـرى المتربصة بهم، والمعادية لهم، ويكفـي أن يتوحدوا أو يتجمعوا علـى «الحد الأدنى»، وأدنى الحدود هو: ما يصير به المسلم مسلما. وإنَّما يصير مسلما بشهادة

QaradawiBooks.com

أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ومعنى هذا: أن أهل لا إلٰه إلا الله، وبعبارة أخرى «أهل القبلة»، أي: الَّذين يتجهون في صلاتهم إلى القبلة يجب أن يتحدوا ويجتمعوا في صورة من الصور.

إن الأمة لا تستطيع أن تواجه أعداءها وهي متفرقة، ولا تستطيع أن تحقق أهدافها وهي متفرقة، ولا تستطيع أن تطور إمكاناتها وهي متفرقة، ولا أن تكسب لها مكانا في عالم اليوم ـ عالم الثورات العِلميَّة ـ وهي متفرقة.

وأقل مظاهر الاتحاد: الجانب السلبي منه، وهو طرح العداوة، وترك الجفوة، فلا يعادي بعض الأمة بعضا، ولا يجافي بعضها بعضا، ناهيك بأن يكيد بعضها لبعض، أو يقاتل بعضها بعضا.

ومن أبرز مظاهر الغلو الَّذي يجب أن يُجتنب: السقوط في هاوية «التكفير»، وهو أمر خطير، تترتب عليه آثار هائلة؛ لأن مقتضى الحكم بالكفر على إنسان: أنك حكمت عليه بالإعدام المادي والأدبي، أي: أهدرت دمه، وأخرجته من الملة، وحرمته من ولاء الأُمَّة والأسرة، حتَّى لو لم يقم عليه حد الردة، فهو ميِّت أدبيًّا ومعنويًّا.

إن أشد ما يعاقب به الإنسان المسلم: أن يُحكَم عليه بالكفر، وهذا باب لا يجوز فتحه لكل من هبَّ ودبَّ من الناس، يُكفِّر من يشاء بغير ضابط ولا رابط ولا أصل ولا قاعدة.

إن الأصل: أن من دخل الإسلام بيقين لا يجوز أن يخرج منه إلا بيقين مثله أو أشد منه، فإن من القواعد المتفق عليها: أن اليقين لا يُزال بالشك.

QaradawiBooks.com

وقد حذر رسول الله ﷺ من التكفير، تحذيرا بليغًا، حين قال: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»[1]، أي: رجعت وصمة الكفر إلى أحدهما، فإذا رميت مسلمًا بالكفر ـ ولم يكن كافرًا بيقين ـ ارتدت تهمة الكفر إليك، وهذا خطر جسيم.

لقد ابتليت الأُمَّة من قديم بداء التكفير، حتَّى وجد من كفَّر بعض الصحابة رضي الله عنهم، بل وجد من كفَّر فارس الإسلام وابن الإسلام البكر، زوج فاطمة البتول، وابن عم الرسول، وسيفه المسلول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتَّى استحلُّوا دمه وقتلوه، وأثنى شاعرهم على قاتله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا!
إني لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا!!

ولقد رأينا لهؤلاء المكفِّرين القدامى ورثة جددًا، ممَّن يسمونهم «جماعات التكفير»، وممن لا يسمون بذلك، ولكنهم يحملون روحهم وتفكيرهم.

إنهم يوزعون «تهمة الكفر» على الناس بالجملة والمفرَّق، ولا يكادون يستثنون أحدًا من المسلمين، ما لم يدخل في جماعتهم ويسرْ في ركبهم.

إنهم يُكَفِّرون الحكام والمحكومين، ويُكَفِّرون العلماء والأميين، ويرتبون على هذا التكفير آثاره من استباحة الدماء والأموال، فلم تعد دماء هؤلاء ولا أموالهم معصومة، على خلاف الأحاديث الصحاح الَّتي

(١) سبق تخريجه صـ٤٨.

QaradawiBooks.com

تقول: «**أمرت أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مِنِّي دماءهم وأموالهم، إلَّا بحقِّها، وحسابهم على الله**»[١].

ومن ذلك: حديث أسامة بن زيد الشهير، الَّذي قتل في إحدى المعارك رجلًا بعد أن قال بلسانه: لا إلٰه إلا الله، فقال له رسول الله ﷺ: «**قتلته بعد أن قال: لا إلٰه إلا الله؟!**». قال: إنما قالها تعوذًا من السيف! قال: «**هلَّا شققت عن قلبه؟**». وظلَّ الرسول يكرِّرها على أسامة: «**أقتلته بعدما قال: لا إلٰه إلا الله؟!**». حتَّى قال أسامة: ما زال يكررها حتَّى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[٢].

وعن المقداد بن الأسود أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلًا من الكفار، فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثمَّ لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله؟! أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله: «**لا تقتله**». فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يدي ثمَّ قال ذلك بعد قطعها! فقال رسول الله: «**لا تقتله، فإن قتلته فإنَّه بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنَّكَ بمنزلته قبل أن يقول كلمته الَّتي قال**»[٣].

ذلك أن الإسلام يَجُبّ ما قبله من الكفر وأعماله، والإسلام هنا هو كلمة التوحيد، وقد قالها، واستباحة قتل الرجل بعد إسلامه يحبط عمل قاتله، والعياذ بالله.

وإذا كان في المسلمين اليوم أناس متخصصون في تكفير المسلمين جميعًا: سنيِّهم وشيعيِّهم، عربيِّهم وعجميِّهم، أحيائهم وأمواتهم، فهناك

(١) سبق تخريجه صـ٤٩.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٩.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٩٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فئة متخصصة في تكفير الشِّيعة دون غيرهم، وربما أضافت إليهم بعض طوائف أخرى من المسلمين.

أ ـ هؤلاء يقولون: إن الشِّيعة يؤمنون بتحريف القرآن، وأنه ناقص، وهذه العقيدة تكفي لتكفيرهم؛ لإنكارهم معلومًا من الدين بالضرورة.

ب ـ ويقولون أيضًا: إن الشِّيعة ينكرون السُّنَّة مصدرًا ثانيًا للشريعة الإسلاميَّة، ولا يعترفون بكتب السُّنَّة المشهورة لدى الأُمَّة: البخاري، ومسلم، وغيرهما، ومثل هذا كاف لتكفيرهم، ولذلك ينكرون رؤية الله في الآخرة، مما ثبت بصريح السُّنَّة.

جـ ـ ويقولون كذلك: إن الشِّيعة يسبون الصحابة، بل يكفِّرونهم، مخالفين بذلك القرآن والسُّنَّة وإجماع الأمة، وخصوصًا سب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

د ـ ويقولون أيضًا: الشِّيعة يدَّعون العصمة لأئمتهم، ولا عصمة لغير رسول الله ﷺ، بل يدَّعون أنهم أفضل من الأنبياء، وأنهم يعلمون الغيب.

هـ ـ ويقولون: إن الشِّيعة لا يعرفون توحيد الإلهية، ولذا يدعون أئمتهم وأولياءهم عند الشدائد، ويستغيثون بهم من الكروب، وينذرون لهم النذور، وإذا زاروا مشاهدهم وأضرحتهم: خروا من بعيد سُجَّدًا، لا يصلون إليها إلا زاحفين على ركبهم، وهذه كلها ضروب من الشرك الَّذي ينافي حقيقة التوحيد الَّذي جاءت به الرسل، ويوافق ما كان عليه مشركو العرب الَّذين قالوا عن آلهتهم وأصنامهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

ونستطيع أن نرد على هذه الاتهامات كلها بأنها لا تؤدي إلى الكفر المخرج من الملة:

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة

QaradawiBooks.com

أ ـ فقد بيَّنا أن الشِّـيعة جميعًا يؤمنون بـأن ما بين دفتي المصحف كلام الله المحفـوظ المعجز الملزم للأُمَّة، ولهـذا يحفظون هذا القرآن، ويتعبدون بتلاوته، ويحتجون به في مسـائل العقيـدة، وفروع الأحكام، وهذا مجمع عليـه عندهم، ولم نجـد لهم مصحفًا يخالـف مصحفنا، والمصحف الَّذي يطبع في إيران هو نفس المصحف الَّذي يطبع في مصر والسعودية.

وأما دعوى أن هناك أجزاء ناقصة من القرآن، فليسوا متفقين عليها، بل ينكرها محققوهم، على أن هذه الزيـادات المزعومة لا يترتب عليها أي أمر عملي.

ب ـ وأما السُّـنَّة: فهم يؤمنون بها مصدرًا ثانيـا للأحكام، ولكنهم لا يأخذونها إلا من طريق رواتهم خاصَّة، وهذه لا تقتضي تكفيرًا مخرجًا من الملة، قد تقتضي الحكم بالبدعة، لا بالكفر.

جـ ـ وأما سـب الصحابة ـ وإن كان أمـرًا جللًا ـ فلهم فيه شـبهة وتأويل، يبعدهم عن الكفر الكامل، وقد يدخلون في فسق التأويل.

د ـ وأما دعوى «عصمة الأئمَّة»: فنحن نخطئهم في ذلك، ولا نرى في هذا «كفرًا بواحًا»، فإن ما جاء عن أئمتهم من أقوال: إما أنها عندنا أحاديث نبوية، وإما أنها «آراء اجتهاديـة»، ككثير مما روي عن فقهاء المدينة السـبعة، وأمثالهم من فقهاء الحجاز والعراق واليمن والشام ومصر وغيرها، وما جاء عن الأئمَّة الأربعة وغيرهم، ولذا كانت ثمرة هذا كله: الفقه الجعفري، بما فيه من استنباط واختلاف، وهو لا يفترق في مجموعه عن الفقه السـني، إلا كما تختلف مذاهب السنة بعضها مع بعض.

QaradawiBooks.com

هـ ـ وأما مسألة التوحيد والشرك، وما وقع فيه الشِّيعة من شرك العوام، فهو أشبه بما وقع فيه غالب أصحاب الطرق الصوفية عند أهل السُّنَّة، فما عند الشِّيعة من دعاء واستغاثة بأئمتهم: موجود عند السنة بالنسبة للأولياء المقربين عندهم، وبعضهم من آل البيت مثل: الحسين، والسيدة زينب، وغيرهما، وبعضهم من غيرهم.

ومن رأى ما يفعله عوام أهل السُّنَّة عند قبور الأولياء المشاهير، مثل: عبد القادر الجيلاني، وأحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، وإبراهيم الدسوقي، وغير هؤلاء: علم أن الداء مشترك بين الجميع، مع اختلاف الدرجة في بعض الأحيان.

وإن كان هناك ميزة للسُّنَّة على الشِّيعة في هذا الجانب، وهو أن كثيرًا من أهل العلم ينكرون هذه البدع ويُشنِّعون عليها، ويدعون الناس إلى التوحيد الخالص، ولا نجد مثل هذا واضحًا عند الشِّيعة.

من أقوال الشِّيعة المعتدلين:

وينبغي لنا في حوارنا الإسلامي الإسلامي لكي يؤتي ثمرته في التقريب بين أبناء الأُمَّة: أن نشيع أقوال المعتدلين من الفريقين، كما نغض الطرف عن أقوال الغلاة والمهيجين، الَّذين يريدون أن يؤججوها نارًا حامية، لا تبقي ولا تذر، كأنما هي سقر، اللواحة للبشر.

وعلى هذا المنوال أنقل هنا ما ذكره العلامة الشيخ رحمة الله الهندي الكيرانوي من أقوال عن أئمَّة الاثني عشرية في عصمة القرآن من التحريف والتبديل، ذكرها ليرد بها على المبشرين من دعاة التنصير، الَّذين شككوا في القرآن بدعوى أن الشِّيعة يقولون بنقصانه وتحريفه، فنقل عنهم ما نقل لرد هذه الدعوى، بشهادة شهود من أهلها.

QaradawiBooks.com

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الجواب عنه تحقيقًا: فلأن القرآن المجيد عند جمهور علماء الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشرية: محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم.

١ ـ قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه، الَّذي هو من أعظم علماء الإماميَّة الاثني عشرية في رسالته الاعتقادية: «اعتقادنا في القرآن: أن القرآن الَّذي أنزل الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة، وعندنا الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ولإيلاف وألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب» انتهى.

٢ ـ وفي تفسير «مجمع البيان» الَّذي هو تفسير معتبر عند الشِّيعة: «ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد، أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي: أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلفًا على ما هو الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتَّى إن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعًا مرتبًا غير منشور ولا مبثوث، وذكر أن مَن خالف مِن الإماميَّة والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته» انتهى.

٣ ـ وقال السيد المرتضى أيضًا: «إن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام المشهورة، وأشعار العرب

QaradawiBooks.com

المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله، وبلغت حدًّا لم تبلغ إليه فيما ذكرناه؛ لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينيَّة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية، حتَّى عرفوا كل شيء فيه، من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيَّرًا أو منقوصًا مع العناية الصادقة والضبط الشديد» انتهى.

٤ ـ وقال القاضي نور الله الشوستري، الَّذي هو من علمائهم المشهورين، في كتابه المسمى بـ «مصائب النواصب»: «ما نسب إلى الشِّيعة الإماميَّة بوقوع التغير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإماميَّة، إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم» انتهى.

٥ ـ وقال الملا صادق في شرح «الكليني»: «يظهر القرآن بهذا الترتيب المعروف الآن، عند ظهور الإمام الثاني عشر ويشتهر به» انتهى.

٦ ـ وقال محمد بن الحسن الحر العاملي، الَّذي هو من كبار المحدِّثين في الفرقة الإماميَّة، في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه: «هر كسيكه تتبع أخباره وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميداند كه قرآن در غاية وأعلى درجة تواتر بود وآلاف صحابة حفظ ونقل ميكر دند آن را، ودر عهد رسول خدا ﷺ مجموع ومؤلف بود»[1] انتهى.

فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإماميَّة الاثني عشرية: أن القرآن الَّذي أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي

(١) ترجمة هذه العبارة: «كل من قام بتتبع أخبار القرآن وفحص التواريخ والآثار يعلم علم اليقين: أن القرآن متواتر غاية التواتر، وفي أعلى درجات التواتر، وكان آلاف الصحابة يحفظونه وينقلونه، وكان مجموعًا ومؤلفًا في عهد الرسول ﷺ».

QaradawiBooks.com

النـــاس، ليـــس بأكثر من ذلـــك، وأنـــه كان مجموعًـــا مؤلفًـــا في عهد رسول الله ﷺ، وحفظه ونقله ألوف من الصحابة، وجماعة من الصحابة، كعبد الله بـــن مســـعود، وأبي بن كعـــب، وغيرهما ختمـــوا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات، ويظهر القرآن ويشـــتهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر رضي الله عنه، والشرذمة القليلة الَّتي قالت بوقوع التغير فقولهم مردود ولا اعتداد بهم فيما بينهـــم، وبعض الأخبار الضعيفة الَّتي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحَّته، وهو حق؛ لأن خبر الواحـــد إذا اقتضى علمًا ولم يوجد فـــي الأدلة القاطعة ما يدل عليه: وجب رده، وعلى ما صرح ابن المطهر الحلي في كتابه المســـمى بـ «مبادئ الوصول إلى علم الأصول» وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، في «تفسير الصراط المستقيم» الَّذي هو تفســـير معتبر عند علماء الشِّـــيعة: «أي: إنا لحافظون لـــه من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان»[1] انتهى.

من أقوال أهل السُّنَّة المعتدلين:

وكما حبَّذنا النقل عن المعتدلين من علماء الشِّـــيعة ينبغي أن نحبِّذ النقل عن المعتدلين من أهل السُّنَّة، مما يخفف حدة التوتر، ويساعد في التقريب بين الفريقين.

من ذلك: ما ذكره علامة المتأخرين من علماء الحنفية ابن عابدين في حاشيته الشـــهيرة، المســـماة «رد المحتار على الدر المختار» في قضيَّة «سابّ الشـــيخين» الَّذي أفتى بعضهم فيها بكفره، بل قال: إنه لا توبة له لو أراد التوبة.

(١) انظر: إظهار الحق للشيخ رحمة الله صـ٤٣٨ ـ ٤٤٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فقد ذكر الحصكفي في كتابه «الدر المختار شرح تنوير الأبصار» نقلا عن «الجوهرة» من كتب الحنفية: أن من سبَّ الشيخين ـ أبا بكر وعمر ـ أو طعن فيهما: كفر، ولا تقبل توبته، وبه أخذ الدبوسي وأبو الليث، وهو المختار للفتوى. انتهى.

قال: وجزم به في «الأشباه» يعني: ابن نجيم في كتابه «الأشباه والنظائر»[1]، وأقره المصنف «صاحب تنوير الأبصار» قائلًا: وهذا يُقوِّي القول بعدم قبول توبة سابّ الرسول ﷺ، وهو الَّذي ينبغي التعويل عليه في الإفتاء والقضاء، رعاية لجانب حضرة المصطفى ﷺ. اهـ.

قال الشارح في «الدر المختار»: لكن في «النهر»: وهذا لا وجود له في أصل «الجوهرة»، وإنَّما وجد على هامش بعض النسخ، فألحق بالأصل مع أنه لا ارتباط له بما قبله[2] انتهى.

وعلق على ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة فقال: «قوله: لكن في النهر... إلخ» قال السيد الحموي في حاشية الأشباه: حكي عن عمر بن نجيم أن أخاه أفتى بذلك، فطلب منه النقل، فلم يوجد إلا على طرة الجوهرة. اهـ.

«وأقول: على فرض ثبوت ذلك في عامة نسخ الجوهرة، لا وجه له يظهر، لما قدمناه من قبول توبة من سبَّ الشيخين، بل لم يثبت ذلك عن أحد من الأئمَّة فيما أعلم». اهـ.

ونقله عنه السيد أبو السعود الأزهري في حاشية الأشباه.

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم صـ١٥٩، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين على الدر المختار (٢٩٣/٣)، نشر دار إحياء التراث العربي.

QaradawiBooks.com

أقول «والقائل ابن عابدين»: نعم نقــل في البزازية عن الخلاصة: أن الرافضي إذا كان يسب الشيخين ويلعنهما فهو كافر، وإن كان يفضل عليًّا عليهما فهو مبتدع. اهـ. وهذا لا يستلزم عدم قبول التوبة.

وقال: على أن الحكم عليه بالكفر مشكل؛ لما في «الاختيار»: اتفق الأئمَّة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم، وسبِّ أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفرًا لكن يضلل... إلخ.

وذكر في «فتح القدير»: أن الخوارج الَّذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفِّرون الصحابة، حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة، وذهب بعض أهل الحديث إلى أنهم مرتدون.

قال ابن المنذر: ولا أعلم أحدًا وافق أهل الحديث على تكفيرهم.

وهذا يقتضي نقل إجماع الفقهاء.

وذكر في «المحيط»: أن بعض الفقهاء لا يكفِّر أحدًا من أهل البدع، وبعضهم يكفِّرون البعض، وهو من خالف ببدعته دليلًا قطعيًّا، ونســبه إلى أكثر أهل السُّنَّة، والنقل الأول أثبت، وابن المنذر أعرف بنقل كلام المجتهدين، نعم يقع في كلام أهل المذهب تكفير كثير، ولكن ليس من كلام الفقهاء الَّذين هم المجتهدون، بل من كلام غيرهم، ولا عبرة بغير الفقهاء، والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا. اهـ.

قال ابن عابدين: «ومما يزيد ذلــك وضوحًا ما صرحوا به في كتبهم متونًا وشروحًا من قولهم: ولا تقبل شهادة من يظهر سبَّ السلف، وتقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية.

QaradawiBooks.com

وقال ابن ملك في شـــرح «المجمع»: وترد شـــهادة من يظهر ســـبَّ السلف؛ لأنَّه يكون ظاهر الفســـق، وتقبل من أهل الأهواء: الجبر والقدر والرفض والخوارج والتشبيه والتعطيل. اهـ.

وقال الزيلعي: أو يظهر سبَّ الســـلف، يعني الصالحين منهم، وهم الصحابة والتابعون؛ لأن هذه الأشياء تدل على قصور عقله، وقلة مروءته، ومن لم يمتنـــع عن مثلها لا يمتنع عن الكذب عـــادة بخلاف ما لو كان يخفي السبب. اهـ.

ولم يعلل أحد لعدم قبول شـــهادتهم بالكفر كما ترى، نعم اســـتثنوا الخطابية؛ لأنهم يرون شـــهادة الزور لأشـــياعهم أو للحالف، وكذا نص المحدِّثون على قبول رواية أهل الأهواء، فهذا فيمن يسبُّ عامة الصحابة ويُكفِّرهم، بناء على تأويل له فاسد، فعلم أن ما ذكره في الخلاصة من أنه كافر قول ضعيف مخالف للمتون والشـــروح، بل هـــو مخالف لإجماع الفقهاء كما سمعت.

وقد ألف العلامة ملا علي القاري رســـالة في الـــرد على الخلاصة، وبهذا تعلم قطعًـــا أن ما عزي إلى «الجوهرة» مـــن الكفر مع عدم قبول التوبة ـ على فرض وجوده في الجوهـــرة ـ باطل لا أصل له، ولا يجوز العمل به، وقد مر: أنه إذا كان في المســـألة خلاف ـ ولو رواية ضعيفة ـ فعلى المفتـــي أن يميل إلى عدم التكفير، فكيـــف يميل هنا إلى التكفير المخالف للإجماع، فضلًا عن ميله إلى قتله وإن تاب؟! وقد مر أيضا: أن المذهب قبول توبة سابّ الرسول ﷺ، فكيف سابّ الشيخين؟!

والعجب من صاحب «البحر» ـ يعني: ابن نجيم ـ حيث تساهل غاية التساهل في الإفتاء بقتله مع قوله: وقد ألزمت نفسي ألا أفتي بشيء من

QaradawiBooks.com

ألفاظ التكفيـــر المذكورة في كتب الفتاوى، نعم لا شـــك في تكفير من قذف السيدة عائشة رضي الله عنها، أو أنكر صحبة الصديق، أو اعتقد الألوهية في عليٍّ، أو أن جبريـــل غلط في الوحي، أو نحو ذلـــك من الكفر الصريح المخالف للقرآن، لكن لو تاب تقبل توبته[1] انتهى.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) حاشية ابن عابدين (٣/٢٩٣، ٢٩٤).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٨

المصارحة بالحكمة

ومن مبادئ الحوار الإسلامي الإسلامي: أن يصارح بعضنا بعضًا بالمشاكل القائمة، والمسائل المعلقة، والعوائق المانعة، ومحاولة التغلب عليها بالحكمة والتدرج والتعاون المفروض شرعًا بين المسلمين بعضهم وبعض.

فليس من الحكمة أن نخفي كل شيء أو نسكت عنه، أو نؤجله وندعه معلقا دون أن نجرؤ على إثارته أو الكلام فيه، فهذا لا يحل مشكلة، ولا يقدم علاجًا، أو يقرب بين الفريقين خطوة واحدة.

من ذلك: ما ذكرته للإخوة من علماء الشِّيعة حين زرتهم في إيران، وهو أن من المهم أن نراعي «فقه الموازنات» و«فقه الأولويات» في العلاقة بين بعضنا وبعض.

فقد يتراءى للبعض أن ينشر المذهب الشيعي في البلاد السنيَّة الخالصة، مثل: مصر أو السودان، ورأيي أن هذا عمل ضرره أكبر من نفعه؛ لأنَّه يثير فتنًا وبلبلة في مجتمع واحد مستقر على السُّنَّة، ويحدث توترًا وغضبًا ضد الشِّيعة، في حين لا تكسب الشِّيعة من وراء ذلك إلا أفرادًا معدودين هم في غنى عنهم.

QaradawiBooks.com

فأيهما أرجح في ميزان المصالح الحقيقية: إثارة شعب بكل فئاته ضد المذهب أم كسب أفراد منه؟

وأذكر أني تكلمت في هذا الموضوع وكان العلامة الشيخ التسخيري حاضرًا، فقال: صدقت والله، ولنا في ذلك تجربة حيَّة، فقد كانت علاقتنا جيدة مع «ثورة الإنقاذ» في السودان، وقد صرحت لنا الثورة: أن نفتح مكتبًا هناك، ولكن تصرف مدير المكتب تصرفًا أثار الإخوة هناك، بأن وزع عدة مئات من كتاب عنوانه «ثم اهتديت» على لسان رجل كان سنّيًّا ثمَّ تشيَّع، فما كان من الإخوة في الخرطوم إلا أن أغلقوا المكتب نهائيًّا، وطردوا مديره.

ومن هنا أقول: لا ينبغي للشيعة أن يحاولوا نشر المذهب الشيعي في بلاد السُّنَّة الخالصة، ولا لأهل السُّنَّة أن ينشروا مذهبهم في البلاد الخالصة للمذهب الشيعي، إبقاء على الود، واتقاء للفتنة.

ومما صارحت به الإخوة في إيران: ضرورة مراعاة حقوق الأقلية السنيَّة بين الشِّيعة، أو الأقلية الشيعيَّة بين السُّنَّة.

وكان ممَّا قلتُه للإخوة هناك: أنَّ في مصر أقلِّيَّة قبطيَّة، ولهذا يراعى في كل حكومة أن يكون لها وزيران أو ثلاثة على الأقل.

وفي إيران أقلية كبيرة من أهل السُّنَّة من الأكراد ومن العرب، وهم شافعية، ومن البلوش وهم حنفية، ولكنهم لا يمثلون في الحكومة ولا بوزير واحد، وكل المحافظين الَّذين يولون عليهم من الشِّيعة.

فقيل لي: هم ممثلون في مجلس الشورى، قلت: ولكن ليس بنسبة عددهم، على أن مجلس الشورى شيء، ومجلس الوزراء شيء آخر.

QaradawiBooks.com

ومما قلته للإخوة أيضا في إيران: إن أهل السُّـنَّة في طهران يُقدَّرون بمليونين أو أكثر، وهم يطالبون منذ سنين بإقامة مسجد لهم، يجتمعون فيه لأداء فريضـة صلاة الجمعة، ويشـاركهم في ذلك السـفراء العرب والمسلمون، فلم تستجب السلطات لهم حتَّى الآن.

قال لي أحد المشـايخ: ولماذا لا يصلي أهل السُّـنَّة مع الشِّيعة في مساجدهم؟

قلت: إن صلاة الجمعة ليسـت مطلوبة عند الشِّـيعة طلبها عند أهل السُّنَّة، ما دام الإمام غائبا، ولهذا لا تقام جمعة في طهران إلا في مسجد واحد هو مسجد الجامعة.

علـى أن من حـق كل طائفة أن تصلـي في المسـجد الَّذي يحقق مطالبهـا، ولا يجـوز أن يفرض علـى النـاس ما يخالـف معتقداتهم ومذاهبهم.

وفي مصر جمعية دينيَّة معروفة هي «الجمعية الشرعية» الَّتي أسسها العلامة الشيخ محمود خطاب السبكي، وهذه لها مساجدها الخاصَّة بها، تبنيها على طريقتهـا وذوقها، فليس لهـا مآذن في العـادة، وليس فيها زخارف، ومنبرها من ثلاث درجات، ولهم فيها صلاة طويلة في القراءة والتسبيح والركوع والسجود، ينفردون بها عن غيرهم.

ولم ينكر أحد في مصر لا من العلماء، ولا من أهل السلطة، ولا من غيرهم حق الجمعية الشرعية في إقامة هذه المساجد، وإقامة الصلاة فيها على الوجه الَّذي يرضونه.

والوضع الآن في العـراق ـ بعد زوال حكم الطاغية صدام حسـين وسـقوط النظام البعثي ـ يوجب أن تعالج العلاقة بين السُّـنَّة والشـيعة

QaradawiBooks.com

بالمصارحة اللازمة في هذه الآونة الخطيرة، وأن يراعى العدل في اقتسام تركة البعث، فالحق أن أهل السُّـنَّة في العراق يشـكون من أن إخوانهم الشِّـيعة يريدون أن يرثوا التركة وحدهم، ولا يكادون يتركون للسُّنَّة إلا الفتات، حتَّى المساجد الَّتي في مناطق أهل السُّنَّة استولى عليها الإخوة الشِّيعة، ومنها: مسجد صدام الكبير، الَّذي بني في منطقة سنيَّة ربما ليس فيها شيعي واحد!

وحجة الشِّيعة: أن صدامًا كان سنّيًّا، وأنه مالأ أهل السُّنَّة، وهذا قول مـردود، وعقـلاء الشِّـيعة يعرفون ذلـك، فلم يكـن صدام بالسـني ولا بالشيعي، ولا علاقة له بالإسـلام، وعلاقته بالإسلاميين: عسكريين ومدنييـن، سـنيين وشـيعيين، دموية، فلم يكـن يهتم بالديـن أصلًا، لا عقيدة، ولا شـريعة، ولا قيم، ولا أخلاق، فنسـبته إلى السُّـنَّة ظلم، ومعاقبتهم بسبب طغيانه: أمر منكر، فقد أصاب العراق كله منه شر كثير: أصاب العرب والأكراد، وأصاب الشِّيعة والسُّـنَّة جميعًا، ولم يسلم منه مسلم ولا غير مسلم.

* * *

QaradawiBooks.com

٩

الحذر من دسائس الأعداء

ومن المبادئ المهمة هنا أيضا: أن نكون على حذر من كيد أعداء الأمة، ودسائسهم الَّتي يريدون بها أن يفرقوا جمعها، ويشتتوا شملها، ويمزقوا صفوفها، فلا تتوحد على غاية، ولا تجتمع على طريق.

وقد حفظنا من فلسفتهم منذ بدأ استعمارهم لبلادنا وغيرها: هذه الكلمة المعبرة عن غايتهم وطريقتهم: «فرِّق تسد»، فهم يجتهدون كي يفرِّقوا كلمتنا من أجل أن يحكمونا ويسودونا.

ومن المعروف أن الاتحاد قوَّة، بل الاتحاد يقوِّي القلة، والتفرق يضعف الكثرة، وما نال أعداء الأُمَّة المسلمة منها إلا يوم تفرقت واختصمت واختلفت راياتها، وتعددت قياداتها، وتنازعوا فيما بينهم، فهيؤوا الفرصة لعدوهم أن ينفذ إليهم، وأن ينفث سمومه فيما بينهم، حتَّى يكيد بعضهم لبعض، ويذوق بعضهم بأس بعض، وحق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[(١)].

وليس أغيظ لأعداء الأُمَّة من اجتماع شملها، ووحدة كلمتها،

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وليس أسر لقلوبهم وأسعد لنفوسهم من اختلاف الأُمَّة على نفسها، وتفرقها من داخلها.

فإذا رأوا الأُمَّة قد التفت جموعها حول هدف واحد، وعقيدة واحدة، وقيادة واحدة، فإن هذا يسوءهم، ويشعل جمرة الحسد والغيظ في صدورهم، ويدفعهم لأن يعملوا بكل وسيلة وكل حيلة لإحالة الوحدة إلى فرقة، والأُخوَّة إلى عداوة.

وهذا ما حدث في عهد النبوة، حيث رأى بعض اليهود ـ شاس بن قيس ـ الأوس والخزرج، وقد جمعتهم عقيدة الإسلام، وضمتهم أخوَّة الإسلام، ونسوا ما كان بينهم في الجاهليَّة من حروب ودماء وثارات، استمرت أزمانًا طويلة، بدلهم الله بالحروب سلامًا، وبالمخاوف أمنًا، وبالعداوات إخاء وحبًّا، ساء هذا المشهد الأخوي اليهوديَّ الخبيث، فآلى على نفسه أن يذكرهم بالجاهليَّة وأيامها، وما كان فيها من انتصار لفريق على فريق، وطفق ينشد الأشعار المهيِّجة الَّتي أنشدها شاعر هؤلاء، فيرد عليه الآخرون بما قال شاعرهم، حتَّى ثارت حميَّة الجاهليَّة، وتنادى رجال الأوس: ياللأوس! ورجال الخزرج: ياللخزرج! وقال الجميع: السلاح السلاح!!

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأقبل إليهم يقول: «**أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنَّها منتنة!**». وذكرهم الله، وتلا عليهم القرآن. فبكوا وندموا وتابوا، وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج، وعلموا أنها نزغة شيطان[1].

(١) رواه الطبري في التفسير (٦/٥٥، ٥٦)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/٩٠)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، =

QaradawiBooks.com

وفي ذلك نزلت الآيات الكريمة من سورة آل عمران: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾، أي: بعد وحدتكم متفرقين، وبعد أخوتكم متعادين كما يدل السياق، ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ ﴾ أي: تتفرقون ﴿وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.. إلى أن قال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٣].

وشاس بن قيس اليهودي القديم الَّذي حاول أن يفرق بين الأوس والخزرج، لا زال موجودًا بأسماء أخر، وعناوين أخر، ولكن هدفه باقٍ ومستمر، وسيظل هو وأعوانه وأبناؤه وإخوانه يمارسون مهمتهم في الكيد لأمتنا وإغراء بعضها ببعض، وتخويف بعضها من بعض، وتبغيض بعضها لبعض.

وهم يلعبون على كل حبل، وينفذون من كل ثغرة، ليمزقوا الأمة شر ممزق، حتَّى تتفرق أيدي سبأ.

فأحيانا ينفذون من ثُغرة اختلاف الديانة، ليقولوا: مسلم ومسيحي، كما يفعلون في مصر.

وأحيانا ينفذون من ثُغرة اختلاف العرق، كما يقولون في العراق: عرب وأكراد، وفي الجزائر والمغرب: عرب وبربر.

= ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، وروح المعاني للألوسي (٢٣٢/٢)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وأحيانا ينفذون من اختلاف المذهب، كما يفعلون بين المسلمين بعضهم وبعض، في العراق ولبنان، ليقولوا: سني وشيعي، أو في عمان: ليقولوا: سني وإباضي.

حتى إذا لم يجدوا شيئًا من ذلك قالوا: قومي وإسلامي، أو يميني ويساري، أو ثوري وليبرالي، إلى آخر هذه التقسيمات.

ولكن المراقبين الأيقاظ يلاحظون أنهم يركزون منذ مدة على الاختلاف المذهبي بين المسلمين، فهم يتمنون من أعماق صدورهم أن يشعلوها فتنة دينيَّة تأكل اليابس والأخضر، وأن يوقدوها حربًا أهلية صريحة بين السُّنَّة والشيعة، فقد كانت حرب العراق وإيران يغلب عليها الطابع القومي: حرب العرب والفرس، وهم يريدونها حربًا دينيَّة مكشوفة القناع بين السُّنَّة والشيعة!! يريدون أن يتحارب الجميع وهم يتفرجون، وأن يأكل بعضهم بعضًا؛ ليتولوا وهم فرحون: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومهما تختلف الأُمَّة بعضها مع بعض، فلا يجوز بحال أن يتحول خلافها إلى قتال بعضها بعضًا، فهذا ما حذر منه رسولهم ﷺ أبلغ التحذير في حجة الوداع، حين قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)].

بل المفروض في الأُمَّة المسلمة أن تكون يدًا واحدة على أعدائها، كما في الحديث: «**المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم**»[(٢)].

(١) سبق تخريجه صـ٥٥.

(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وإن من أشد المصائب على الأُمَّة: أن يصبح بأسها بينها، كما وصف الله اليهود قديمًا: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

ومن العقوبات القدرية الإلهية للأمم: أن يذوق بعضها بأس بعض، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

إن الأُمَّة اليوم ـ بجميع طوائفها ومدارسها ومذاهبها وعروقها وأقاليمها ـ مدعوة لأن تستيقظ لما يراد بها، وأن تقف مع نفسها وقفة طويلة للحساب والمراجعة، وأن تعرف مَنْ لها ومَنْ عليها، ومَنْ صديقها ومَنْ عدوها، وخصوصًا بعد حرب العراق وما وراءها من تداعيات وآثار، وظهور أمريكا قوَّة وحيدة، متألهة مستكبرة في الأرض، لا تُسأل عما تفعل، ولا تَسأل عما تريد.

آن للضعفاء أن يتحدوا ليواجهوا القوة الطاغية، وآن للمؤمنين أن يتحدوا ليواجهوا الفرعونية الجديدة، الَّتي تقول للناس: أنا ربكم الأعلى.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٠

ضرورة التلاحم في وقت الشدة

وإذا جاز لبعض الناس أن يتفرَّقوا ويختلفوا في أوقات العافية والرخاء والنصر، فلا يجوز لهم بحال أن يتفرَّقوا في ساعات الشدة والعسرة والمحنة، فالمفروض أن المحن تجمع المتفرقين، وأن المصائب يجمعن المصابين، وقديما قال الشاعر: عند الشدائد تذهب الأحقاد[١].

ونحن الآن نعاني محنًا قاسية، وقوارع شديدة، في كل وطن من أوطاننا، وفي أمتنا بصفة عامة، وخصوصًا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، فقد دخلت الأُمَّة من مشرقها إلى مغربها في امتحان عسير، وموقف خطير، يستوجب منها عامة، ومن علمائها ودعاتها وفصائل صحوتها خاصَّة: أن ينسوا خلافاتهم الجانبية، ومعاركهم الهامشيَّة، ويقفوا في جبهة واحدة متراصة في المعركة الَّتي يواجهها الإسلام وأهله، عند المعركة يجب أن يتلاحم الجميع، ويتساند الجميع، ولا يعلو صوت نشاز، يُفرِّق الأُمَّة في ساعة الخطر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

(١) من شعر عويف القوافي، انظر: الأغاني (١٣٨/١٩)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وإن من أشـــد المخاطر أن يتلاحم خصوم الأُمَّة من أهل الكفر، ويوالي بعضهم بعضًا، في حين يتباعد أهل الإيمان ويتخاذلون، وهو ما حذر منه القـــرآن في قولـــه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]، أي: إن لم يوالِ بعضكم بعضًا ويتكاتف بعضكم مع بعض كما يفعلون، تكون الفتنة والفســـاد الكبير؛ لأن معناه أن أهل الباطـــل يتجمعون، وأهل الحق يتفرقـــون، وأن هناك عمـــلًا وهنا فراغًا، هذا هـــو الخطر كل الخطر.

وقد رأينا غير المسلمين يتجمعون ويتوحدون، على الرغم من وجود أســـباب للخلاف بينهم بعضها تاريخي، وبعضهـــا واقعي، كما رأينا في الاتحاد الأوربـــي، الَّذي حـــدث بين بـــلاده بعضها وبعـــض: حروب وحروب، آخرها الحربان العالميتان، اللتان سقط فيهما ملايين الضحايا، ومع هذا طرحوا هذه المآسي وراءهم ظهريا، ووجدوا مصلحتهم الكبرى في أن يتحدوا.

وقبل ذلك رأينـــا التقارب بين المذاهب المســـيحيَّة بعضها وبعض، وبين المســـيحيَّة عموما واليهودية، برغم العداء التاريخي بينهما، حتَّى أصدر الفاتيكان وثيقته الشهيرة بتبرئة اليهود من دم المسيح!

والمســـلمون ـ وحدهم ـ هم الَّذين يختلفون ويتنازعون بعضهم مع بعض، مع توافر الكثير من أسباب الوحدة بينهم، وحسبهم أنهم جميعًا من أهل القبلة، وأنهم جميعًا من أهل «لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله»، وأنهم جميعًا رضوا بالله ربًّا، وبالإســـلام دينًا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا.

QaradawiBooks.com

ولقد ذكر القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام: حادثة فيها تبصرة وعبرة لأولي الأبصار، وهي قصة هارون عليه السلام مع قومه، حين ذهب موسى إلى مناجاة ربه أربعين ليلة، فأضلهم السامري، وأخرج لهم عجلًا جسدًا له خوار، فقال: هذا إلهكم وإلٰه موسى، وأطاعه القوم وعبدوا العجل، الَّذي لا يرجع إليهم قولًا، ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا يهديهم سبيلًا: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠، ٩١].

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا لما فعلوه في غيبته، وألقى ألواح التوراة في الأرض غضبًا لله وللحق، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قائلًا له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤].

وقد رضي موسى بهذا الجواب من أخيه، وأقره القرآن الكريم، فدل على أن ما رعاه هارون: أمر له اعتباره في ميزان الدين، وهو الحرص على وحدة الجماعة، حتَّى لا تتمزق، والسكوت على منكر كبير، بل هو أكبر منكر ـ وهو الإشراك بالله تعالى بعبادة غيره سبحانه ـ حرصًا على وحدة الجماعة، وهو قطعًا سكوت مؤقت، حتَّى يرجع موسى من رحلته، ويتفاهم الأخوان معًا في علاج الموقف الخطير بما يلائمه.

ولا يقول أحد: إن هذا كان شرع من قبلنا، فإنما يذكر القرآن هذه القصص لنأخذ منها العبرة والدروس، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١].

QaradawiBooks.com

وقال تعالى لرسوله بعد أن ذكر له عددًا من أسماء رسله الكرام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠][1].

إن توحيد الأُمَّة الإسلاميَّة مطلوب في كل حين، وهو أشد ما يكون طلبًا في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ أمتنا. فاتحادها فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع الإسلامي، والواقع العالمي، فالاتحاد قوَّة لها، والتفرق يجعلها ضحية سهلة يمكن للأعداء أن يأكلوها قطعة قطعة.

وأختم بحثي هذا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأدعو الله تعالى بما دعا به التابعون بإحسان، الَّذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار، يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

* * *

(١) انظر كتابنا: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد صـ٣٤١ ـ ٣٤٣، نشر دار الشروق، القاهرة.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٣٤	٣٧، ٣٩
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	٢٨٥	٢٦، ٥٣
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾	٢٨٦	٥١، ٥٣
سورة آل عمران		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾	١٠٠ ـ ١٠٣	٨٢
﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾	١٠١	٨٢
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٤، ٨٢
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾	١٠٥	٤
﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٣٥	٥٢
سورة النساء		
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾	٩٣	٥٢
سورة المائدة		
﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٤٩، ٥٠	٢٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾	٤٩	٢٧
﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا ﴾	٩٥	٥٢
سورة الأنعام		
﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ ﴾	٦٥	٨٤
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾	٩٠	٨٨
﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾	١٠٨	٤١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾	١٥٩	٤، ٥٦
سورة الأعراف		
﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾	١٢	٢٢
سورة الأنفال		
﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾	٣٠	٨٣
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾	٤٦	٤، ٨٠
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٧٣	٨٦
سورة التوبة		
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾	١٠٠	٣٥، ٤٤
سورة يونس		
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	١٨	٦٦
سورة هود		
﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	٢٦

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾	١١١	٨٧
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	٢٦، ٧٠
سورة النحل		
﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	١٢٥	٨
سورة الإسراء		
﴿ اقْرَأْ ﴾	١٤	١٤
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	٥٢
سورة طه		
﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ ﴾	٩٠، ٩٤	٨٧
سورة الأنبياء		
﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	٩٢	٤
سورة الحج		
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ ﴾	١٧	٣٧
سورة المؤمنون		
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾	٥٢	٤
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾	٦٠	٢٣
﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾	٦١	٢٣

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النور		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾	١١	٣٥
﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾	١٢	١٩
سورة الأحزاب		
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾	٥	٥١
سورة فاطر		
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٨	٦٠
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾	٢٢	٦٠
سورة الزمر		
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾	٣	٦٦
سورة الشورى		
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾	١٥	٣٨
سورة الجاثية		
﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	١٩	٩
سورة محمد		
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	١٩	١٤
سورة الفتح		
﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾	١٢	١٩
سورة الحجرات		
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ﴾	٩	٥٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٠	٤، ٨٨
﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾	١١	٣٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾	١٢	١٨، ٢٢
سورة النجم		
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾	٣٢	٢١
سورة الحديد		
﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴾	١٠	٣٦
سورة الحشر		
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾	١٠	٤٦، ٨٨
﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾	١٤	٨٤
سورة الصف		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	٤	٨٥
سورة المدثر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	١ ـ ٤	١٤
سورة العلق		
﴿ ٱقْرَأْ ﴾	١	١٤

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
ابدأْ بمن تعول	٨
ابدأْ بنفسك	٨
أبدعوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنَّها منتنة	٨١
اتَّق الله يا محمد	٢١
إذا التقى المسلمان بسيْفَيْهما فالقاتل والمقتول في النار	٥٥
إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم	٢٢، ٢٣
إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما	٥٥
إذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف	٥٢
أمرت أن أقاتل الناس حتَّى يقولوا: لا إلٰه إلا الله	٤٩، ٦٥
إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا	٥٤
إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه	٦٠
إنَّ هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله! اعدلْ يا محمد، فإنَّكَ لم تعدل!	٢١
أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظُنَّ بي ما شاء	٥٣
إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى	١٣

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر	٥٥
إيَّاكم والظنَّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تناجشوا	١٩، ٢٢
أيُّما رجلٍ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال	٤٨، ٦٤
ب	
بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم	٢٢
بَشِّرْ قاتل ابن صفيَّة بالنار	٣٩
ث	
ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفُّ عمَّن قال: لا إلٰه إلا الله، لا نُكَفِّره بذنب	٥٠
ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه	٢٣
ح	
حديث الإفك	٥٥
د	
دبَّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم: الحسد، والبغضاء، وهي: الحالقة	٥
دخلت امرأة النار في هرة حبستها	٦٠
ش	
الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، والذئب إنما يأخذ القاصية والناحية من الغنم	٥٦
الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد	٥٦
ط	
طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض	٣٩
ع	
عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة	٥٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ف	
فهو أهلكَهم	٢٣
ق	
قتلته بعد أن قال: لا إلٰه إلا الله؟!. قال: إنما قالها تعوذًا من السيف!	٦٥
ك	
كفُّوا عن أهل لا إلٰه إلا الله، لا تُكَفِّروهم بذنب. من كفَّر أهل لا إلٰه إلا الله	٥٠
كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه	٥٤
ل	
لا تباغضوا، ولا تظالموا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا	٥
لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٥، ٨٠
لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض	٥، ٥٥، ٨٣
لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا	٤١
لا تسبُّوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا	٤١
لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر	٤١
لا تسبُّوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة	٤٢
لا تسبُّوا الرِّيحَ، فإنَّها من رَوْح الله	٤٢
لا تسبُّوا الشيطان، وتعوَّذوا بالله من شرِّه	٤٢
لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم	٤٢
لا تقتله. فقال: يا رسول الله، إنه قطع إحدى يدي ثمَّ قال ذلك بعد قطعها!	٦٥
لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون	٢٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	٢٢
لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾	٥١، ٥٣
م	
ما أَطْيَبَكِ وأطيبَ رِيحَكِ! وما أعظمَكِ وأعظمَ حُرْمتَكِ!	١٩
المسلم أخو المسلم، لا يخذله، ولا يَحْقِرُه	٥
المسلمون تتكافأ دماؤهم، يسعى بذمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم	٥
المسلمون يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم	٨٣
من ادَّعى أبًا غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه	٥٢
من دعا رجلًا بالكفر، أو قال: يا عدوَّ الله، وليس كذلك؛ إلَّا حار عليه	٤٩
من رمى مؤمنًا بكفر فهو كقَتْلِه	٤٩
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا	٥٤
هـ	
هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا	٦٠
هلَّا شققت عن قلبه	٤٩
هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين	١١
و	
وما يُدْريكَ يا عمر، لعلَّ اللهَ اطَّلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم	٣٨
ي	
يا أسامة، أقتلته بعدما قال: لا إلٰه إلا الله	٥٥
يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله، فإنْ كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسُّنَّة	٥٧

* * *

QaradawiBooks.com

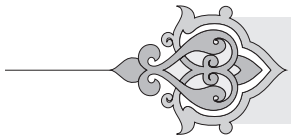

فهرس الموضوعات

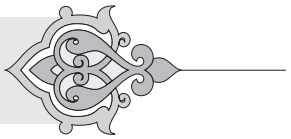

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

❖ تمهيد ١١

ما المراد بالتقريب بين المذاهب؟ ١١

❖ مبادئ عشرة في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة ١٣

❖ ١ ـ حُسن الفهم ١٤

❖ ٢ ـ حُسْن الظنِّ ١٨

❖ ٣ ـ التركيز على نقاط الاتفاق ٢٦

❖ ٤ ـ التحاور في المختلف فيه ٣٠

❖ ٥ ـ تجنُّب الاستفزاز ٣٤

نصيحة للفريقين ٤٤

❖ ٦ ـ اجتناب تكفير كل من قال: «لا إله إلا الله» ٤٨

رد حديث الآحاد لشبهة لا يُكَفَّر به ٥٨

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ **٧ ـ البعد عن شطط الغلاة** **٦٢**

من أقوال الشِّيعة المعتدلين ٦٨

من أقوال أهل السُّنَّة المعتدلين ٧١

❖ **٨ ـ المصارحة بالحكمة** **٧٦**

❖ **٩ ـ الحذر من دسائس الأعداء** **٨٠**

❖ **١٠ ـ ضرورة التلاحم في وقت الشدة** **٨٥**

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٩١**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٩٧**

• **فهرس الموضوعات** **١٠١**

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية